أبحر سبعة

رحاب إبراهيم عجم

رواية

أبـــــحرٍ سبـــــعة

(مملكتي النور والظلام)

بقلم/ رحاب إبراهيم عجم

إهداء إلى أولئك الذين يرمون أثقال أكتافهم على عتبات الخيال

هرباً من مرارة الواقع وطمعًا في حياة مليئة بالحماس

تنهد القبطان عزيز ثم خرج بعد أن دثر حفيده الأصغر بالغطاء وقبّل رأسه، ليدخل من بعدها غرفة تميمة حفيدته الكبرى القوية، النارية، الثابتة، نظر إليها نظرة طويلة بها الكثير من القلق والخوف، خائف من أن ينتهى ثباتها هذا يومًا ما بعد أن تدرك من هي وما تخفيه الأستار، يفكر كيف ستواجه كل ما خُبىء عنها كل هذا الوقت دون أي مقدمات وترتيبات بل وعليها أن تتفهم وتصدق بل وتقديم المساعدة، كيف ولم تلمس قدميها ماء البحر بعد آخر مرة كادت أن تغرق رغم إستطاعتها السباحة

تذكر ذلك اليوم الذي سقط فيه وسيم وهو مازال صغيراً وقفزت هي من وراءه لتمسك به حتى لا يغرق، وتحول البحر من بعدها لحالة من الهيجان وسحبتهما التيارات المائية التي كادت أن تغرقهما في ذلك اليوم.

ثم انبعث ضوء أزرق لامع من مفتاح اللؤلؤة فقطع حبل أفكاره وذكرياته، ونظر إليه بقلق بعد أن ازداد وهجه هذا العام، فأدرك بأن الأوان قد حان وأنه يجب عليه الآن أن يقص على تميمة ما خُبىء عنها كل تلك السنوات، فاتجه إلى غرفة مكتبه وأخرج صندوق اللؤلؤة من خزانته؛ صندوق مصنوع من عظم الحيتان الزرقاء، مطلي بالفضة البراقة، مليء بنقوش لكائنات بحرية وكلمات بلغة غريبة وحوريتين تمتد يديهما لتتلاقى بلؤلؤة ينبعث منها اللون الأزرق وحينما رأى القبطان عزيز انبعاث الضوء منها هي الأخرى، ارتعشت يداه وأمسك بعدة أوراق وقلم وبدأ بالإستعداد.

في الصباح الباكر خرجت تميمة من غرفتها متثائبة، نظرت إلى الهدايا التي أحضرتها عائلتها إليها البارحة لعيد ميلادها الخامس والعشرين فتمسكت بالقلادة المعلقة برقبتها وابتسمت؛ فتلك القلادة ستلازمها منذ الآن لأنها هدية جدها الغالي، كما أنها وقعت في غرام تلك القلادة ذات اللؤلؤة السوداء لإختلافها وللقصة التي حاكاها جدها عنها: بأنه عندما كان في إحدى مغامراته في المحيط أعطتها له حورية شعرها أحمر وعيناها خضروتان تشبه الأميرة آريال من عالم ديزني، أعطتها له إمتناناً لمساعدتها على التحرر من أسر كاعد مساعد الشر في البحار السبعة بعد أن كادت تُذبح على يديه بعد مقاومتها له بألا تصبح من خادمات الشر، غالباً ما كان يروي لها مثل تلك القصص ولكن لم تتوقع إنه سينسج قصة لتلك القلادة أيضاً! ولكن حقاً أصبحت مميزة بعد تلك الحكاية الشيقة "هكذا قالت لنفسها"

كم كانت تصدق تلك الحكايات التي كان يقصها عليها جدها وهي صغيرة وكبرت الصغيرة وأصبحت تراها الآن أساطير ليس لها أي دليل من الصحة، ولكن أليس لكل أسطورة قصة؟

سمعت جلبة بالمطبخ فأتجهت إليه لترى جدها يقوم بتحضير الفطور فأبتسمت قائله:

- قبطاني العزيز، لماذا لم توقظني كي أحضّر أنا الطعام بدلاً عنك

= أريد تدليلك يا صغيرتي صاحبة عينان المحيط

- دلالك سيفسدني يا حضرة القبطان

ضحك مازحاً:

- سأقوم بإصلاحك في الوقت المناسب لا تقلقي

فجاء صوت ثالث من خلفهما يقول:

- هذه التميمة ليست قابلة للإصلاح على أي حال، فلا تهدر وقتك يا جدي، وقص لي حكاياتك المشوقة عن مملكة النور أفضل

قالت له وهي على وشك الإنقضاض عليه:

- أنا غير قابلة للإصلاح يا صغير!!، سأريك من سيكون غير قابل للإصلاح الآن

جرت تميمة خلفه في كل مكان، طاردته ولم تتركه إلا بعد ما أشبعته دغدغة من يديها، وامتلىء البيت الذي نال قدراً كبيراً من الحزن بالضحك والسرور، تابعتهما عيناه بمحبة فكم يسعد بهاوشتهما الجميلة تلك التي تشبع قلبه بالفرحة وتعوضه ولو قليلاً عن شوقه لولده الذي فقده هو وزوجته في عرض البحر، كم يؤلمه عدم إيجاد جثتيهما بعد بحث طويل لم يثمر عنه شيء غير الألم والحسرة، وكم آلمه فقد حفيديه لوالديهما في سن صغيرة جداً وبهذا الشكل، لكنه كان دائماً ينظر إلى من هم أقل منهما، الذين فقدوا ذويهم ولم يكن بجوارهم أحد يرعاهم، ثم ناداهما بمرح:

- هيا يا أطفالي إلى الطعام

ردت تميمة بعبوث ومزاح:

- يا جدي العزيز أرجوك لا تعد تناديني بطفلة؛ أنا لم أعد طفلة، هو فقط الطفل

أنهت تميمة جملتها وهي تشير على وسيم بخبث لإغاظته، فاغتاظ وسيم ورد قائلاً:

- لست طفلاً، لست طفلاً!، أنا في السابعة عشر من عمري، سأحتج وأترك لكما البيت
- لا تحزنا، أنتما الاثنان أكبر طفلين، هـا قولا لي هل ارتحتما الآن؟

نظرا الاثنين له وقالا له في نفس الوقت دون تفكير:

- حسناً هذا جيد

جلسا على المائدة وجدهما ينظر لهما بتمعن، ثم فتحت تميمة عينيها على آخرهما ونظرت لوسيم كما فعل هو الآخر وقالا في نفس الوقت:

- لقد خدعنا!!

ضحك جدهما بشدة:

- أتصدقاني الآن

ابتسما الاثنان واستسلما فالواضح إنهما سيظلا صغاراً مع جدهما إلى الأبد ، جلسوا جميعاً يتناولون فطورهم بنهم، ثم قال وسيم:

- جدي هل لك أن تحكي لي أكثر عن قصص إبحارك المثيرة

ضحكت تميمة وقالت:

- يا لك من مهووس يا وسيم، تلك القصص ليست حقيقية يا عزيزي لتهتم بها إلى هذا الحد، لا تصدقها واهتم بدراستك أكثر
- وكيف لا أصدقها وجدي هو القبطان
- جدي راوي جيد وخياله خصب وسهل عليه نسج الكثير من القصص، أليس كذلك يا جدي؟

نظر لها جدها وهو يصدق أنها لا تتذكر بتاتاً، لكنه لا يصدق نفورها في كل مرة تعاد عليها تلك القصص فابتسم وهو يقول في نفسه "قد أصدق أن العقار له مفعول آخر غير النسيان ولكني أدرى بحفيدتي"، ثم تنهد ونظر لهما مجيباً سؤالها:

- تلك هي مشكلتكما!، وسيم يصدق كل ما يقال له دون تفكير ودون دليل، وتميمة لا تؤمن ولو قليلاً بأن هناك أشياء قد لا يصدقها العقل بأنها موجودة، عليكما أن تدركا أن الفرق بين الحقيقة والخيال خيطان رفيعان هما الدليل والتجربة، لذا لا تصدقا أي شيء إلا بعد بحثٍ طويل على دليل أو أن تعيشا التجربة

رد وسيم بثقة:

- أنا أصدق يا جدي لأنني أشعر في قرارة نفسي إنها حقيقية، أصدق كل ما يتعلق بالبحر وأسراره الغامضة وأساطيره، وعندما تتحدث

عن البحر يا جدي وأرى تلك اللمعة في عينيك أصدق أكثر ما أشعر به

ابتسم القبطان عزيز ونظر لوسيم بتمعن وقال:

- تصدق بقلبك يا عزيزي وهذا جيد لكن عليك أن تقوم بتشغيل عقلك أيضاً، فالقلب بدون عقل يعقل كالإنسان بدون رأس، وأنتِ يا تميمة تحتاجين أن تصدقي بقلبك كما تصدقين بعقلك فالعقل بدون قلب كالرأس بدون عينين

فقالت تميمة وهي لا تحد بعينيها عن طبقها:

- أصدق بقلبي وعقلي يا جدي بأن البحر مدفن كبير لكل من أحبوه، هو كما هو سيظل دائماً غدار، أصدق كل أساطيره الشريرة، البحر عندي أسطورة كبيرة وعالم أخر لا أعلم ماهيته كلما نظرت إليه تتملكني الحيرة ويتملكني الغضب، وأشعر إنني أُسحب داخل دوامة

ثم وقفت بسرعة واستطردت قائلة بلهجة تُخفي بها ضعفها وحزنها:

- لقد شبعت يا جدي، سلمت يداك، سأذهب للشرفة أحتسي الشاي قبل أن أخرج

خرجت تميمة لينشغل عقل وقلب جدها عليها، ويحزن وسيم لأجلها ولأجل نفسه أيضاً فكم يشتاق لوالديه اللذان لم ينعم في حضنهما إلا قليل.

نظر وسيم لجده وقال:

- لا تقلق عليها يا جدي، تميمة بخير

فرد الجد بشرود:

- أعلم يا وسيم، ولكن قد تتغير الظروف في لحظة واحدة
- ما الأمر يا جدي، أشعر بأن هناك شيء يدور في عقلك ويقلقك

انتبه الجد لما قاله وسيم ورد بغموض:

- عندما يحين الوقت، سأخبرك بما يدور في عقلي، لك ولأختك

نظر وسيم إلى جده بشرود وكأنه يحاول سبر أغوار عقله، لكنه ترك الأمر حتى يخبره هو بالذي يدور بعقله، ثم قال مردفاً:

- حسناً سأخرج لتميمة يا جدي، وسأنتظر عندما يحين الوقت

ابتسم الجد وأومأ برأسه له، ثم خرج وسيم إلى تميمة ونظر إليها بحب قائلاً:

- هل أنتِ بخير يا تميمتي؟

ابتسمت، ثم نظرت له قائله:

- بخير يا وسيمي، يا طفلي الصغير

عكص حاجبيه على جملتها الأخيرة ولكنها زالت سريعاً وهو يردف بخفوت:

- لا تغضبي يا تميمة، هذا قدر ولا فرار من قدر الله، والدينا توفيا غرقاً في البحر لأن هذا قدرهما، وليس لأن البحر غدار، هو فقط مجرد سبب من أسباب الله وحتى لو كان البحر عالم كبير لا نعرف ماهيته سيظل لا حول له ولا قوة بدون الله، لكن لن أستطيع منعك من الحزن عليهما فأنا أيضاً حزين لفقدانهما... لكن يا أختي أنا دائماً أختار التأقلم مع اشتياقي واحتياجي لهما وحزني عليهما حتى لا يتآكلني الحزن وأصبح ضعيف؛ فأنا أريد أن أكون السند القوي لكِ يا تميمة، فأرجوكِ يا أختي كوني بخير لأجلي ولا تسمحي لأن يتآكلك الحزن من الداخل

دمعت عينيّ تميمة وابتسمت بإعجاب لأخيها وقالت:

- الواضح أنك لم تعد صغيراً يا صغير، كم أنا فخورة بك الآن يا وسيم، شكراً لك يا أخي، شكراً لأنك سندي يا حبيبي

احتضنته تميمة وبادلها وسيم الإحتضان، ثم نظرت إليه وقالت:

- أنا أيضاً مثلك يا وسيم أشعر بأن هناك شيء يربطني به، غير حادثة والدينا، أشعر بأن هناك قدر وجذور تربطني به، أعتقد أن ذلك بسبب حبي للبحر مثل كل فرد من عائلة الريس

شرد وسيم مفكراً ثم قال بلهفة:

- تميمة، ألم تلاحظي إنه وبرغم حبنا للبحر إننا لا ننزله أبداً، حتى جدي أعتزله ولم يعد يقوم برحلات مرة أخرى كما السابق

عكصت تميمة حاجبيها بمفاجئة واعتدلت في جلستها وكأن وقع عليها سطل ماء بارد واستعجبت ثم قالت وهي تتأتأ:

- أعتقد... أن ذلك بسبب حادثة والدينا.... بماذا تفكر؟!
- لا شيء، دعينا ننتظر قليلاً

نظرت له بعدم فهم، ثم وقفت وقالت:

- سأذهب الآن يا حبيبي، هل تريد شيئاً؟
- أريد سلامتك يا أختي، اهتمي بنفسك

خرجت تميمة وظل وسيم على حاله ينظر للبحر من شرفته وعلى وجهه علامات التفكير وروح المغامرة، وثالثهم كان القبطان عزيز الذي سمع حديثهما والذي بدا عليه الفرحة والراحة كما كان للقلق نصيب.

مملكة النور

في أرض يحوطها ساتر مائي قطراته نقية لامعه كألماس يحول بين أرض وماء المحيط وتملؤها القصور المزخرفه بأجمل الزخارف، زخارف مليئة بقصصٍ شعبية نُحتت عليها بدقة عالية وبيدٍ بارعة، تتناثر حولها الأجّمة المختلفة في شكل بديع ومرتب... كانت تستمع الملكة نوران ملكة مملكة النور والأبحر السبعة إلى صوت حفيديها باشتياق، لاستمرارها بالتواصل مع القبطان عزيز

الملكة نوران ملكة النور سليلة عرش الماء وحارسة الأبحر السبعة من شر ساكنيه المُظلمين، جميلة وبهية رغم كبر السن، وجهها مليء بالحكمة والقوة رغم الوهن الذي احتل جسدها بعد فقدانها لإبنتها حبة قلبها "آسين" والدة تميمة ووسيم؛ هي وزوجها في عرض البحر الذي تحكمه، بحثت عنهما في كل مكان في البحر ولكن لم تعثر عليهما ولا حتى على جثمانهما؛ لذلك يجتاحها الأمل في العثور عليهما حيين، كما تشك أن اختفائهما السبب فيه "هالات الظلام" وتلك القبائل التي خرجت من تحت حُكمها وتحالفت مع هالات الظلام؛ تلك الساحرة الشمطاء التي تريد قلب الأبحر السبعة رأساً على عقب مرة أخرى كما فعلتها في السابق، لكن هذه المرة غير سابقتها فهي تعمل منذ زمن وبتخفى وبنشاط أكبر وبخطط كبيرة للسيطرةعلى الأبحر السبعة والبر معاً ويساعدها العديد من قوى النفوس الشريرة مثل كاعد نصيرها الأكبر والأشد في البحر و على اليابس، وبعض أمراء مدن وجزر فوق الماء وتحته يخضعون لها طمعاً في الحصول على القوة والنفوذ التي وعدتهم بها، وهنا يأتي دور ملكات مملكة النور في التصدي للظلام عندما يتسرب إلى كل مكان حتى قلوب البشر ويبتلع كل شيء عندما يزداد الخوف، تبدأ مهمتهم برحلة إلى كل ذراع يستمد منه الظلام القوة لقطعه ونحره، تُختار فتاة شابة من سلالة ملكات النور؛ تكون الإبنه الكبرى بينهم وعلى وشك التتويج لكن لتأتيها المنامات عليها أن تكون قبل أي شيء بروح شفافة ينيرها النور وينعكس بين ثناياها

وتميمة هي الشابة والإبنة الكبرى في العائلة وتأكيداً من جدها فهي تمتلك الروح المناسبة للرحلة؛ فكانت أعين المملكة تتجه إليها كمنقذة لهم، كما كانت أعين هالات الظلام تبحث عنها في كل مكان هي وحلفائها للسيطرة عليها قبل أن تقوم بأي خطوة تعكس كل خططتهم في السيطرة على الأبحر السبعة والبر أو تفسدها.

***

دخل رجل بحلته المهندمة ووقاره إلى أُزج طويل نُقشت على جدرانه نقوش بديعة بألوان زاهية جميلة يقف فيه حراس يحرسون الغرفة المخصصة للملكة نوران وأحفادها، حيَ الحراس الواقفين بإبتسامة ودودة ثم وقف أمام الباب الذهبي ذو النتوئات البارزة لحوريتن تمتد يديهما بلؤلؤة، ثم طرق بخفة ليدخل بعدها مُحيياً والدته وابنتيه وزوجته:

- السلام عليكن، مرحباً عزيزاتي كيف حالكن

ابتسمن له مرددين التحية بحب ثم جرت "أريج" ابنته الصغيرة تحتضن رجليه، فقال مُستطرداً وهو ينظر لوالدته الملكة نوران:

- ليديم الله ابتسامتك يا أمي؛ تبدين سعيدة!

قالت وقد اتسعت ابتسامتها:

- لقد تواصل معي القبطان عزيز واسمعني صوت حفيدي

دمعت عيني أركون وقال:

- سنجتمع بهم قريباً يا أمي، اربطي على قلبك قليلاً، لقد هانت

تنهدت الملكة نوران بحرارة وكأنها تنفث عن ما بداخلها من ألم فراق ابنتها وزوجها واشتياقها لهما ولحفيديها وقالت:

- أتمنى ذلك يا ولديَ، فلقد تعبت ووهن قلبي من اشتياقي لهما

قاطعت حديثهما أريج الممسكة يد أبيها وهي تقول:

- أبي!، تميمة تمتلك عينان زرقوتان أليس كذلك؟
- نعم يا عزيزتي، تمتلك عينان زرقاوتان جميلتان
- أريد أن أراها يا أبي
- عن قريب يا عزيزتي

نظرت ميسال ابنة أركون الكبرى إليهم وسألتهم:

- يا ترى ما سيكون رد فعل تميمة بعد معرفة كل ما أُخفي عنها كل هذه المدة؟!

عكص أركون ما بين حاجبيه مفكراً ثم أجابت الملكة نوران:

- لا نعلم يا عزيزتي، لكن القبطان عزيز يطمئنني بقوة نفسية تميمة، وأتمنى أن تثبت ولا تغضب أو تخاف
- أخاف أن تغضب، أو لا تستعب ما سيُقال لها وتتخلى عن المملكة ولا تقوم بالمهمة

رد أركون:

- لا تخافي يا عزيزتي ولا تكوني متشائمة إلى هذا الحد
- أنا لست متشائمة يا أبي بل أضع الاحتمالات التي قد تحدث لو لم توافق تميمة حتى نتصرف بشكل أسرع

ابتسم أركون وهو ينظر لإبنته بفخر، كذلك الملكة نوران والتي قالت لها:

- أنتِ تفكرين كملكة لمملكة النور يا ابنتي، أنتِ حكيمة يا ميسال

ابتسمت ميسال وفرحت بما قالته جدتها لها، وظلوا يتحدثون عن المملكة وهالات الظلام وهم بانتظار الأخبار بعد أن تعلم تميمة بقصتها و ما أُخفي عنها.

حمزة

في مقدمة سفينة كبيرة وقف حمزة يعقد أحبال ساريته، سفينته التي يهتم بها كثيراً ويعتني بها كأنها أمه وحبيبته بل عائلته كلها التي حُرم منها.

فقد حمزة أمه عند ولادته فلم يسبق له رؤيتها والتنعم بحنانها ودفء أحضانها، أما والده فتوفى وهو بالخامسة عشر من عمره وتركه تحت وصاية أخيه، كان رجلاً صالح طيب القلب أحب حمزة كأنه ولدٌ له، رعاه بكل حب وحنان على غرار زوجة عمه التي كانت تكرهه وتتأفف من رعايته، والتي كلما كانت تكرهه أكثر عندما تراه أذكى من أولادها ومتفوق عليهم، استطاعت بكرهها هذا بث الكراهية في قلوب أبنائها ناحية حمزة ما عدا ابنها الصغير "مروان" الذي أحب حمزة وتعلق به ورافقه في كل مكان ذهب إليه.

تربى حمزة في جو منزلي ملىء بالكراهية ناحيته ولولا عمه وابن عمه مروان لمات حُزناً وانفطر قلبه يُتماً.

وسريعاً مرت الأيام وكبر حمزة وأصبح شاباً صَلب، ذو شخصية قوية، قوي البنية، متفوق دراسياً وذكي، عنيد لكن طيب القلب ورحيم، دخل الأكاديمية البحرية لشغفه بالبحر فأراد أن يصير قبطاناً يجوب البحار السبع، وقبل بدء عامه الأول في الأكاديمية توفى عمه وأصبحت حياته جحيماً بسبب زوجة عمه التي وبكل الطرق حاولت إخراجه من البيت وحرمانه من الميراث الذي تركه له، لكن عمه الذي كان مُدركاً لكره زوجته له وما قد تفعله بعد موته؛ كتب وصية لضمان حق حمزة من ميراثه، وعندما علمت زوجة عمه ذلك جن جنونها وطردت حمزة من البيت، خرج حمزة من بيت عمه إلى بيت والديه وحيداً وحزيناً لكن سرعان ما رزقه الله بالصحبة الصالحة، فتعرف على ساهر ابن الشيخ عرفان شيخ الصيادين في إحدى خروجاته إلى البحر والذي أصبح صديقه ورفيقه الطيب وعونه في الدنيا، كما أصبح الشيخ عرفان أب ثانٍ لحمزة وعم له.

جُبر قلب حمزة برفقة صاروا له أهل بعد يُتمه ووحدته، يحبونه ويتمنون له السعادة بعيداً عن أولئك القاسية قلوبهم الذين استكثروا عليه ذكاءه وقوته وبعض المال وكأنه لم يعاني قط في حياته، رحمة الله كبيرة تحاوطنا وتكفينا في كل لحظة ضعف تمر علينا فمن ليس له أب له رب.

***

قاطعه صوت حسن الصغير عن ما يفعله وهو يناديه:

- عمي حمزة، يا عمي حمزة!

نظر حمزة للصغير مُبتسماً وقال بفرحة:

- عزيزي حسن، كيف حالك يا صغير؟

ببراءة وحب رد عليه الصغير عاكصاً حاجبيه بعبوث طفولي:

- لم أراك البارحة ولا أول البارحة واشتقت إليك كثيراً، أُخاصمك لأنك لم تشتاق إليَ

ابتسم حمزة لجمال وبراءة حديثه الطفولي؛ فنزل إليه وحمله وداعبه قائلاً:

- يا قلب عمك؛ لقد اشتقت إليك كثيراً كثيراً ولا تخاصمني رجاءً فأنت صديقي وهكذا لن يكون لي أصدقاء
- حسناً، لن أخاصمك، وسأكون معك دائماً ولن أتركك فأنا أحبك كثيراً كثيراً

احتضنه حمزة بحب وداعبه قليلاً ثم قال:

- كن حذر عندما تقترب من البحر يا حسن، كن على الشاطئ حتى لا تغرق
- حسناً؛ لكن بشرط أن لا تغب عني لوقت طويل، كن معي دائماً

احتضنه حمزة مرة أخرى مبرراً:

- لقد كنت مشغولاً يا عزيزي لذلك غبت كل هذه المدة لكن لا تحزن سأعوضك وأحضر لك ألعاب وحلوى كثيرة
- حسناً اتفقنا
- والآن قل لي كيف حال الدراسة؟

تغيرت ملامح حسن للضيق، وتأفف مللاً:

- لقد مللت من المدرسة والمذاكرة، أريد أن أكبر بسرعة حتى أتخلص منهما
- لا تقل هذا!، عليك أن تجتهد لتصبح ما تريد، ألم تقل لي يوماً إنك تريد أن تصبح طبيباً

ابتسم حسن بحماس وقال:

- نعم أريد أن أصبح طبيباً مثل الطبيبة تميمة

رفع حمزة حاجبيه متسائلاً:

- من هي الطبيبة تميمة!؟

رد حسن بحب وقال:

- اسمها الطبيبة تميمة، بيتها قريب من هنا، تأتي وتساعد من يحتاج للمساعدة من الصيادين وعائلاتهم، كما تفحصنا وتلاعبني أنا وأصدقائي وتقص علينا قصصاً شيقة، عيناها زرقاوتان كالبحر وجميلة جداً، يوماً ما سأكبر وأتزوجها

قهقه حمزة عالياً، وقال يداعبه:

- لكن يا حسن كيف ستتزوجها فهي تكبرك بكثير وقد تتزوج أيضاً

فرد الصغير حسن بحزن:

- كيف سأجد فتاة مثلها الآن!؟، إنها طيبة وجميلة جداً

ابتسم حمزة ثم قال متصنعاً التفكير:

- اممم هي طيبة وجميلة، حقاً أمر صعب أن تجد فتاة مثلها.. لكن حتماً ستكون ابنتها مثلها إن أنجبت ابنة.. حينها تزوج ابنتها

لمعت عينيَ الفتى وقال بحماس:

- حسناً تزوج أنت الطبيبة تميمة وأنا سأتزوج ابنتكما، هذا أضمن

ضحك حمزة منبهراً بفصاحته:

- اممم دعني أفكر، لكن عليك أن تجتهد أنت أولاً وتصبح شخصاً جيداً، اتفقنا؟
- اتفقنا
- اذهب الآن للبيت حتى لا تقلق عليك والدتك

أومأ حسن موافقاً ثم ذهب إلى البيت بعد أن احتضن حمزة وقبَله، وظل حمزة يبتسم على الحديث الذي دار بينه وبين حسن الصغير طيلة اليوم حتى أتى ساهر حاملاً بعض حاجيات السفينة والذي ما إن نظر إلى حمزة المبتسم؛ ابتسم هو الآخر سائلاً إياه:

- ما الأمر يا حمزة؟

نظر حمزة له والإبتسامة ملىء شدقيه ثم حكى له الحوار الذي دار بينه وبين حسن؛ فقهقه ساهر عالياً وقال:

- يا إلهي ما هذا الجيل الغريب! لا أتذكر إننا كنا هكذا ونحن أطفال فلقد كان كل همنا هو مشاهدة أفلام الكارتون واللعب طوال النهار
- حقاً والله!، ولكن إذا سمعته وهو يتحدث بتلك البراءة والخفة سيختلج قلبك له
- حسن فتى ظريف وخفيف الدم رغم صغر سنه وأظن أنه سيتزوج قبلنا نحن الاثنين... يا رجل لقد أختار زوجته المصون منذ الآن؛ ونحن بهذا الطول ونبدو كالأبلهين

قهقة حمزة عالياً وقال مازحاً:

- لا لقد تكرم علىَ وسيزوجني الطبيبة وهو سيتزوج ابنتنا، أما أنت فلا

عكص ساهر ما بين حاجبيه وأجابه:

- هكذا إذن!، وأنا الذي كنت سأجعل أختي تتحر عن الأمر وتُكمل ما بدأه حسن ذو النظرة الثاقبة هذا، بما إنها طبيبة هي الأخرى وقد تكون زميلة لها

ضحك حمزة قائلاً:

- وعندما أذهب إلى بيت الطبيبة وتسألني من دلك عليَ فأقول لها البركة في حسن

ضحك الاثنان، وظلا يضحكان طوال النهار على هذا الأمر.

أسرار تطرق الباب

جلس كلاً من تميمة ووسيم بالشرفة ينتظران جدهما الذي جمعهما ليخبرهما عن أمرٍ هام كما قال لهما، ثم نظرت تميمة لوسيم وقالت له:

- أتعلم لماذا جمعنا جدي اليوم؟!
- تحديداً لا أعلم ولكني أعلم إنها ستكون مفاجأة كبيرة

دخل القبطان عزيز عليهما حاملاً صينية عليها ثلاثة أكواب من الكاكاو الساخن الذي تعشقه تميمة فصاحت:

- يا لك من شخص رائع يا قبطاني العزيز، شكراً لك

ابتسم وقال:

- بالهناء والشفاء يا عزيزتي

ارتشفوا من أكوابهم بعض الرشفات ثم نظرا إليه منتظرين منه بدء الحديث، فأراحهم بما يريدونه قائلاً بجدية:

- أعلم أن ما ستسمعوه الآن قد يصدمكما خاصةً أنتِ يا تميمة وقد لا تصدقينه أيضاً، ولكن يجب أن أخبركما الآن بكل شيء فلقد حان الوقت لذلك

نظر كلاً من وسيم وتميمة إلى بعضهما ثم نظرا إليه بتمعن خاصة تميمة والتي بدأت تشعر أن هناك حقاً مفاجآة على وشك الإنفجار، ثم أكمل الجد حديثه:

- كل تلك القصص التي قصصتها عليكما يوماً هي جزء من حقيقة كبيرة

قالت تميمة بعدم فهم:

- جزء من حقيقة!، أيعني هذا أنك تقول إنها حقيقية؟

- نعم، حقيقية

سأل وسيم:

- وماذا يعني أن تلك القصص جزء من الحقيقة؟

ابتسم الجد سارداً:

- هناك عالم آخر تحت الماء تحكمه ملكة تسمى نوران سليلة عرش النور، حامية الأبحر السبعة من ظلام ساكنيه، وهذه الملكة هي جدتكما

فغر كلاً من تميمة ووسيم عيناهما وفاهما بعدم تصديق، وقالت تميمة:

- ماذا!؟، أهذه قصة جديدة يا جدي من قصصك الخيالية؟
- لا يا تميمة وكما قلت لكما تلك القصص ليست خيالية

ابتسم وسيم قائلاً بحماس:

- حقاً يا جدي!

فنظرت لهما تميمة بشرود وقالت:

- أتخدعونني أم ماذا؟، كيف أصدق ما تقوله يا جدي؛ فهذا لا يدخل عقل شخصٍ راشد أبدًا

رد وسيم:

- أعلم إنه يصعب تصديق مثل هذا الكلام، لكن أصدقه لأن جدي هو الذي يخبرنا به، فأنتِ لم تري تلك اللمعة التي تلمع بعينيه يا تميمة، وصوته الذي يمتلىء بالحماس عندما يقص تلك القصص، وفي تلك المرات التي كان يخبرنا فيها بقصصه، كنت أشعر بإنه يمهد لنا شيئاً في المستقبل

نظر القبطان عزيز لوسيم بفخر وقال بفرحة:

- أنت شاب شديد الملاحظة وذكي، كم أنا فخور بك

ثم نظر إلى تميمة واستطرد قائلاً:

- أعلم إنه أمر صعب التصديق ومنافي لحياتنا الروتينية يا تميمة خاصةً أن العالم كله لم يتكلم عن هذا العالم أو يصل إليه إلا بالأساطير فقط، لكن سأقدم لكِ الأدلة

خرج القبطان عزيز من الشرفة ليحضر صندوق اللؤلؤة من غرفة مكتبه ودخل عليهما مرة أخرى وهو يحمله، فتعلقت به عينيَ تميمة وشعرت بوخز في مؤخرة رأسها، ورآه وسيم وانبهر به و باللؤلؤة المنيرة كالقمر، ثم قال:

- هذا الصندوق أهدته لي جدتكما عندما ساعدتها في مرة من المرات، وبه أثر من كل مغامرة قمت بها

ثم بدأ الجد بإخراج ما بداخل الصنوق وأول ما قام بإخراجه خنجر أسود قديم مقبضه على شكل أفعى سوداء عيناها حمروتان:

- هذا الخنجر أخرجته بنفسي من السفينة الهائمة

ثم شرد قليلاً والإبتسامة تعلو محياه وكأنه يتذكر تلك الأيام الخوالي ثم أردف:

- لم يجرؤ أحد على دخول تلك السفينة يومًا، لما قد يجده هناك من مخاوف، لكني فعلتها وخرجت بفضل الله

فقال وسيم بانبهار:

- كيف خرجت منها يا جدي فأنا على حد علمي بما رويت أن تلك السفينة ملعونة بأكثر تعاويذ السحر الأسود ظلاماً، تعويذة الخوف التي جعلت كل من يعتلي السفينة تقتله مخاوفه التي تتجسد له ولا تراها إلا عينيه؟
- بالإيمان يا وسيم، الإيمان بالله يجعلك شخص قوي فلا يستطيع إنس أو جن أو سحر بأن يضروك بشيء وإن كانوا شديدين السواد

فالإيمان نور وكلما زاد إيمانك اشتد وهج النور بداخلك وقضى عليهم

- هل أستطيع الإمساك به؟
- حسناً لكن توخي الحذر فنصل الخنجر دائماً مسموم
- مسحور هو الآخر؟
- أجل

ثم نظر إلى تميمة وسألها:

- هل تصدقين الآن يا صغيرتي؟

أومأت برأسها وقالت:

- أصدقك يا جدي لأني أعلم إنك لا تكذب، وطريقتك الجدية تؤكد لي، لكن هذا كله يربكني فعقلي يأبى التصديق وكأني لا أستطيع الاستيعاب... الأمر يشلني ويحيرني، كما أشعر بشعور غريب وكأن دبيب النمل يحتل جسدي

نظر إليها جدها وعلم أن مفعول الترياق بدأ يزول، ثم قاطعهم وسيم بحماسه الملتهب:

- ماذا يوجد أيضاً بداخل الصندوق يا جدي؟

ضحك الجد على حماس ولهفة حفيده ثم أخرج من الصندوق خصلة شعر حمراء تلمع وكأنها أحجار الياقوت:

- هذه الخصلة هي خصلة شعر حورية البحر التي أهدتني اللؤلؤة السوداء التي تتدلى من قلادتك يا تميمة

أمسكت تميمة قلادتها تلقائياً وابتسمت بخفوت، ثم استطرد القبطان عزيز قائلاً:

- تلك الحورية أهدتني تلك الخصلة مع اللؤلؤة لتساعدني إن احتجت للمساعدة يوماً ما
- كيف!؟

- عليك فقط أن تأخذِ شعرة من الخصلة وتهمس لها باحتياجك لها ثم ترميها في البحر وستأتي ومعها العون الذي تحتاجه

ابتسم وسيم بانبهار:

- لا أصدق إنني قد أرى حورية بحر في يوم من الأيام

ضحكت تميمة:

- أما أنا فأشعر بأنني داخل فيلم أو بداخل كتاب، حقاً ما أسمعه الآن شيء لا يُصدَق!

مد القبطان عزيز يده مرة أخرى بداخل الصندوق وأخرج قلادة سلسالها غليظ ويتدلى منها دائرة عريضة نُقشت عليها كلمات صغيرة بلغة غريبة ويتشابك بداخلها سيفان:

- هذه القلادة لمرتزقة البحر، جماعة أشبه بالرحالة وكل ترحالهم من جزيرة لجزيرة ومن سفينة لأخرى، اجعلا تلك القلادة دائماً معكما فقد تحتاجنها، فتلك القلادة ستكون وسيلة عبوركما داخلهم بسهولة

فقال وسيم بحماس ولهفة:

- هل هناك شيء أخر في الصندوق يا جدي؟
- نعم، هناك بعض الخرائط والتي رسمتها بفسي لبعض المضايق والمداخل السرية، وأسهل الطرق لبعض الوجهات، وبعض الجزر وكهوفها، وأيضاً تلك القوقعة

قال وسيم مستخفاً بها:

- قوقعة!، هل أنت من هواة جمع القواقع يا جديّ؟
- لا تستخف بأبسط الأشياء يا وسيم فقد تكون أعظمها، أولاً هذه القوقعه عمرها ٥٠٧ عام، وثانياً تعتبر وسيلة اتصال جيدة بالبحر

لإنتشارها في كل مكان، لذا تستطيع التواصل مع أي شخص يحمل مثلها، عليك فقط أن تذكر اسم الشخص الذي تريد الاتصال به

فغر وسيم وتميمة فاهما ثم قال وسيم بحماس:

- أريد أن أجربها، أرجوك يا جدي

أعطاها له فأخذها وسيم بشغف ثم قربها منه وهمس قائلاً: " أريد أن أسمع صوت أسراب الحيتان

سمع وسيم صوتهم الذي ألجمه فكان عميق يرتجف له القلب، شعر بأن لأصواتهم مغزى وحكايا كثيرة يصدرونها أصواتاً، شعر بأنه حتى لا يمثل نقطة في عالم كبير جداً عندما سمع صوتهم

لاحظ القبطان عزيز وتميمة اهتمام وسيم بالقوقعة فابتسما، ثم نظرت تميمة لجدها وقالت متسائلة:

- هل مازالت جدتي على قيد الحياة؟، هل عائلة أمي على قيد الحياة؟، وهل الأمرخطير إلى للدرجة التي تجعلني أتعرف على جدتي وعائلة أمي الآن وبعد كل هذا الوقت؟!

نظر لها بتمعن وعطف:

- عندما كانت جدتك شابة قامت حرب لا يعلم عنها أحد غير سكان البحر والمرتزقة وبعض سكان البر مثلي ومثل الشيخ عرفان وتكتمنا على ما نعرفه حتى لا يطال سكان البحر أذى الطامعين من سكان البر وتبدأ حروب من نوع آخر محركها الطمع والاستيلاء ونحن في غنى عنها رغم قوة سكان أهل البحر وتطورهم العلمي والتكنولوجي لكن هم حكماء عنا، وأيضًا يفضلون التخفي...عندما قامت الحرب قامت بين النور والظلام وتصدت لها جدتك بكل قوتها وفشلت هالات الظلام في الهيمنة على البحر، وظلت سيطرة جدتك هي السائدة، ومرت السنون حتى اختفى كلاً من والديكِ بعد أن ظهر بعض التمرد لبعض الحلفاء وظهور نوع من الظلام داخل النفوس لكل ما له علاقة بالبحر وأصبحت هالات الظلام تسيطر على بعض

العصابات في الجزر وساد السحر الأسود والبغاء، وأصبحت سيطرة هالات الظلام تظهر رويداً رويداً على غير ما توقعنا، وسيطر قلقنا وخوفنا عليكما؛ خاصة أنتِ يا تميمة فأنت الفتاة الكبرى للإبنة الكبرى وهالات الظلام لن تترك فرصة في القضاء على الملكة المستقبلية للأبحر السبعة عندما تحين فرصتها في السيطرة على الأبحر السبعة من جديد، لذلك قمنا بإخفاءكما عن الأنظار، وأخفينا عنكما الحقيقة لقطع أي فرصة عن هالات الظلام بتوقع مكانكما من سحرتها.

كانت تميمة تستمع لجدها بتركيز وتمعن خاصة عندما سمعت أن اختفاء والديها قد تكون لهالات الظلام يد فيه، تألم قلبها وأقسمت إنها ستنتقم لأجلهما، ثم قالت لجدها بتساؤل:

- جدي، لماذا تحكم الأبحر السبعة ملكة وليس ملك؟

ليس فعلياً فالرجل هو المسئول عن اتخاذ القرارت والحروب لكن الموافقة النهائية على القرارت يرجع إلى الملكة، فكما قلت لكِ هم حكماء، فلقد رأوا قديماً أن الصراعات التي كانت تحدث من حولهم وبينهم سببها غرور الرجال القادر على القضاء على الحياة، والتبارز بالقوة وإظهارها طبع بهم وستقضي عليهم جميعاً فجعلوا تنفيذ القرارات يرجع إلى الملكة لترى برحمتها التي وهبها الله لها إن كانت لصالح المملكة أم لا، وأيضاً هناك دور مهم تشغله الملكات عندما يسود الظلام فهن الوحيدات اللاتي تأتيهن الروءى وبمساعدة من حولهن يقومن بالرحلة للقضاء عليه.

لقاء

استقبل الشيخ عرفان ساهر وحمزة بعد غياب يومين في عرض البحر لتسليمهم شحنة بضائع إلى اليونان، استقبلهم باشتياق قائلاً:

- الحمد لله على سلامتكما يا ولدّي، كيف كانت رحلتكما؟

رد ساهر وهو يحتضنه:

- الحمد لله يا أبي كانت رحلة موفقة

وقال حمزة بعد أن احتضنه هو الآخر:

- الحمد لله يا شيخي كانت رحلة جيدة واستمتعنا بها أيضاً
- الحمد لله يا يا بني، هيا انتهوا من حزم الأمتعة بسرعة؛ فرقية قامت بتحضير وليمة لذيذة لأجلكما

صاح ساهر بفرحة:

- هيا بنا إلى المنزل الآن، فعصافير بطني تزقزق

ضحك حمزة:

- اسبقاني إلى البيت، لأنني سأذهب إلى حسن أولاً، فلقد أحضرت له هديته الذي طلبها مني

رد الشيخ عرفان:

- حسناً لا تتأخر؛ سننتظرك

فقال ساهر بفزع:

- أرجوك لا تتأخر، فأنا لن أستطيع التماسك وقد أقضي على الأخضر واليابس في المنزل ولن يتبقى لك شيء

ضحك حمزة قائلاً:

- حسناً لن أتآخر

ذهب حمزة للقاء حسن الذي يحتل في قلبه مكانة كبيرة، فهو يذكره بنفسه عندما كان صغيراً خاصةً أن حسن يتيم الأب فأراد حمزة تعويضه عن بعض حنان الأب واهتمامه، حاملاً له لعبة كان يتوق لإمتلاكها، فكان يخطو خطواته سريعاً حتى يصل إليه ويفاجئه بها.

وجده جالس بين أقرانه والإبتسامة تعلو وجوههم ناظرين لفتاة شابة عيناها زرقاوتان تحكي لهم حكاية ما، نظر لوجوهم المبتسمة وسكون أجسادهم ثم نظر إليها وتعلقت عيناه بها وبإمائتها وهي تقص عليهم بحماس، وما لبثت ثواني حتى غض بصره عنها عندما شعر بقلبه ينبض وبعينيه تتمادى في النظر إليها، ثم سمع صياح حسن باسمه فنظر إليه ليجده مسرعاً ناحيته فاتحاً ذراعيه فوقف حمزة ولقفه محتضناً إياه بشدة قائلاً:

- لقد اشتقت إليك يا صغير، كيف حالك وحال دراستك؟

نظر حسن لحمزة وأمسك وجهه بحب قائلاً:

- أنا أيضاً اشتقت إليك يا عمي حمزة كثيراً كثيراً، أنا بخير ونلت درجات عالية هذا الأسبوع

نظر له حمزة بفرحة وعطف مشجعاً إياه:

- أحسنت يا صغيري أنا فخور بك جداً، والآن عندي لك مفاجأة ستعجبك، هيا أغمض عينيك

أغمض حسن عينيه فأخرج حمزة الهدية من خلفه قائلاً له:

- الآن افتح عينيك

فتح حسن عينيه ليصيح:

- ها..إنها اللعبة التي أتمناها شكراً لك يا عمي حمزة، أنا أحبك كثيراً كثيراً حتى لو لم تحضر لي تلك اللعبة الرائعة

احتضنه حمزة وقبله لكلماته العفوية الصادقة، ثم نظر خلف حسن ليرى تميمة مرة أخرى وهي تلاعب بقية الأطفال بعد أن فسدت أجواء الحكاية بسببه هو وحسن، حتى أجفله صوت حسن وهو ينادي عليها:

- طبيبتي تميمة!، انتظري لأرُيكي لعبتي الجديدة

ابتسمت له تميمة وأومأت برأسها موافقة، فنظر حسن لحمزة مرة أخرى وقال:

- هيا يا عمي حمزة تعال حتى أعرفك على طبيبتي تميمة لتتزوجها فيما بعد

و قبل أن ينبهه حمزة بألا يخبرها على مادار بينهما؛ أسرع حسن كالطلقة ليكون بين يديّ تميمة ليريها لعبته الجديدة، فوضع حمزة يده على قلبه خوفاً من أن يحرجه أمامها، ثم ناداه حسن:

- عمي حمزة، هيا اقترب منا

لاحظ حمزة توتر تميمة لكنه كان سعيد في قرارة نفسه وأراد أن يقترب أكثر وأكثر حتى يشعر بذلك الشعور الذي يشبه التحليق على بساط الريح كما كانت أيضاً هناك حاجة في قلبه تلح عليه بأن يقترب من بحور عينيها تلك حتى وإن كان سيغرق.

اقترب منهما حمزة أكثر فزاد توترها أكثر وانتبه لتورد خديها فداعب ذلك مشاعره الرجولية وآسره ذلك فغض بصره وقلبه يدق دقاً، ألقى السلام فردت السلام بخفوت وخجل فأعقب حسن قائلاً:

- هذه هي الطبيبة تميمة التي حدثتك عنها يا عمي حمزة

نظرت لهما تميمة وسألت مندهشة:

- تحدثتما عني؟!

سارع حمزة بالحديث وقال:

- كان فقط يحدثني بأن له صديقة طبيبة اسمها تميمة

ابتسمت تميمة لحسن وداعبت خده وقالت لحمزة:

- حسناً، تشرفت بمعرفتك يا أستاذ حمزة، اعذرني عليّ الذهاب الآن

وقبل أن تنسحب سبق حسن قائلاً:

- لا انتظري، تعرفيّ على عمي حمزة لأنه سيتزوجكِ

قال حسن ما خافه حمزة والآن عليه أن يبرر هذا الموقف الغريب حتى لا يكون انطباعها الأول عنه مريب، أما تميمة ففغرت عينيها وفاها مندهشة وخجلة مما قاله حسن؛ فأدارت ظهرها في الحال لتهرب من فرط خجلها وتوترها، لكن حمزة لم يسمح لها فقبل أن تذهب كان أمامها، فارتبكت أكثر، ثم فسر موضحاً بعجلة:

- أرجوكِ لا ترتابي مني، سأوضح لكِ، حسن فاجئني في يوم وقال لي أنه يريد الزواج بطبيبة اسمها تميمة لأنها طيبة وتساعد من يحتاج إلى المساعدة بالإضافة إلى إنها جميلة وعيناها زرقاوتان، فقلت له حسناً لكن عليك أن تكبر وتصير رجلاً جيداً أولاً كي تتزوجها؛ لكنها ستكبر أيضاً وقد تتزوج فتزوج ابنتها أفضل، لكنه اقترح عليّ أن أتزوجك لأنه يحبني ويحبك وبالتالي سيتزوج ابنتنا

كان حمزة يتكلم بسرعة حتى ينتهز الفرصة في التبرير بجدارة، لكن تميمة كانت مرتبكة وازدادت ارتعاشة يدها والتي لاحظها حمزة قائلاً:

- هل أنتِ بخير يا آنسة تميمة؟

نظرت له تميمة وعيناها تزوغ، وقالت بإرهاق وهي تغلق عينيها:

- بخير!، لكن عليّ أن أذهب الآن

ثم أردفت مرة أخرى بحدة بعد ثواني صمت تتمالك نفسها فيها:

- ولا تقطع عليّ طريقي مرة أخرى

صبغ وجهه بالأحمر واهتز كيانه لجملتها التي مست طرف رجولته تؤذيها ، فالرجال لا يقطعون طرق النساء وهذا أحرقه، ثم أومأ لها حمزة برأسه

متفهماً وهم للذهاب من أمامها حتى أوقفه عدم اتزان خطواتها الملحوظ والتي كادت أن تهوى على الأرض لولا الكرسي القريب منها الذي استندت عليه، فدنا منها بقلق وحذر يسألها:

- هل أنتِ متأكدة إنكِ بخير؟

فتحت عيناها مرة أخرى وهى تربت على ذراع حسن المتمسك بها بخوف ثم أجابت حمزة القلق:

- لا تقلق أنا بخير، أنا فقط لم أتناول شيئاً منذ الصباح، كنت مُسرعة ولم أفُطر؛ فهبطت دورتي الدموية

رد عليها حمزة بنبرة مهتمة غاضبة:

- كيف تخرجين من البيت بدون طعام!، إن كنتِ ضعيفة للحد الذي لن تحملكي قدماكي، فلِما تخرجين بدون أن تأكلي شيئاً؟
- لا تحدثني بتلك النبرة، أنا حرة ولا دخل لك بشأني

تمالك أعصابه قليلاً، فبأي صفه هو يتدخل، فقال:

- آسف ولكن...

وقبل أن يتم جملته قاطعتهم امرأة عجوز:

- لا تتناقرا وولدكما ينفطر من البكاء بصمت

نظر كلاً منهما إلى المرأة العجوز بذهول ثم إلى حسن الذي صدمهما بدموعه الغزيرة ووجهه الأحمر المحتقن؛ فهرعا إليه بحنو يخففان عنه، ثم أخذته تميمة بين ذراعيها تحتضنه وتبث بداخله الأمان وهي تقول:

- لا تخف يا حبيبي

فأردفت المرأة مرة أخرى وهي تفتح حقيبتها:

- لقد رأيتك من بعيد وأنتِ تفقدين توازنك، خذي هذا الطعام تناوليه أنتِ هزيلة وهذا لا يصح

ثم نظرت إلى حمزة وقالت له:

- لماذا لا تهتم بزوجتك وتهتم بطعامها؟

نظر لها حمزة بصدمة وقال:

- أنا لم أفعل لها شيئاً، هي التي لم تأكل شيئاً منذ الصباح؟
- هذا لا يصح أنت زوجها ويجب أن تنتبه لها وتهتم بها، هذا واجبك نحوها
- أعلم لكن...

قبل أن يُكمل جملته صرخت بصوت مكتوم وهي تقول:

- يا إلهي، توقفوا أشعر إنني سأتقيأ، هناك شيء عليكِ أن تعلميه يا سيدتي...

وقبل أن تُكمل جملتها قالت المرأة العجوز:

- ها ،هل أنتِ حامل؟!

صرخت تميمة:

- لا لا، هو ليس زوجي وأنا آنسة، والصغير ليس ابني إنه صديقي الصغير، أرجو أن ينتهي سوء الفهم هذا الآن

نظرت المرآة العجوز لها ثم لحمزة وقالت:

- لستما زوجين؟!

نظرت لها تميمة وقالت:

- نعم، لسنا كذلك

فنظرت لحمزة مرة أخرى وقالت له وكأنها تتأكد:

- ليست زوجتك؟!

فنظر لها حمزة نظرة تشي بشيء ما بدأ ينموعندما قال لها لا، فابتسمت المرآة العجوز:

- حسناً، حصل خير، وهيا الآن يا ابنتي تناولي ذلك الطعام حتى تقوين على الحراك

نظرت لها تميمة بامتنان وشكر:

- اعذريني حين صرخت عليكِ، وآسفة لإزعاجك
- لا بأس يا ابنتي، لم يحدث شيء

ثم نظرت إلى حمزة الجالس بجانب حسن يلاعبه، ونظراته المتملصة ناحية تميمة، كانت نظراته حذرة تخاف أن يلتقتها أحد، فابتسمت عندما رأت أن هناك حب يتراءى في الأفق، ثم اقتربت منه ومن حسن وقالت:

- اذهب يا حسن إلى تميمة وأطعمها جيداً

أطاعها حسن وذهب إلى تميمة بحب للاهتمام بها، فخلى لها المكان مع حمزة لتهمس له بشيء جعله يبتسم ويسعد داخله، ثم أعطته بعض الطعام؛ فشكرها، ثم اتجهت ناحية تميمة عندما رأتها تستعد للنهوض من على المقعد؛ فساندتها، ابتسمت لها تميمة شاكرة وممتنة للشعور بحنان تفتقده منذ زمن، وهمست لها المرآة بشيء جعلها متسعة العينين، مندهشة وخجلة، ثم نظرت لحمزة بخجل وشرود.

أشاحت بوجهها عنه ونظرت لحسن الممسك بيدها؛ فابتسمت

نظرت لها المرآة العجوز قبل أن ترحل ووصتها:

- اهتمي بنفسك يا عزيزتي وانتبهي لطعامك

فردت تميمة بسرعة:

- إنها أول مرة يا خالة أخرج فيها بدون طعام، كما إنني أجهدت نفسي اليوم فأدى ذلك إلى هبوط دورتي الدموية، لكنني أعدك إنها لن تتكرر وشكراً لاهتمامك الغالي يا خالة

قالت تميمة جملتها الأخيرة بصوت يملؤه الاشتياق لذلك الاهتمام، اهتمام الأم الذي حُرمت منه مبكراً

نظرت لها المرأه العجوزبحنو وهي ترى ذلك الاشتياق:

- لا بأس يا عزيزتي فأنا مثل أمك، انتبهي لنفسك

سمعت تميمة جملتها لتمتلأ عينيها الدموع، فأبعدت المرآه العجوز وجهها وبسرعة حتى لا تجعلها تبكي، ثم نظرت لحمزة توصيه:

- انتبه أنت أيضاً لنفسك يا حمزة، وانتبه لما قلته لك

ابتسم حمزة قائلاً:

- لكِ ما تريدين يا خالة، وشكراً جزيلاً لكِ

ارتبكت تميمة وتساءلت "يا ترى ماذا قالت له ليبتسم وينظر لي مستحياً في آنٍ واحد"

أخيراً قبلت المرأه العجوز حسن الصغير ثم ودعتهم جميعاً ورحلت.

نظرت تميمة لحمزة وقالت باستيحاء:

- حسناً عليّ الذهاب أنا أيضاً، شكراً لك، وآسفة لصراخي عليك

تنحنح حمزة:

- لا بأس يا آنسة تميمة، وحمداً لله على سلامتك

رحلت وظل هو واقفاً ينظر لإثر رحيلها، لا يريدها أن تذهب وتبتعد عنه، لا يريد أن يبتعد عن بحور عينيها، كان يريد أن يقول لها انتظري لقد رأيت فيكِ شيئًا يدق له قلبي ويحتاجه منذ زمن، وكوني معي فوجودك يشعرني بأنني على ما يرام وسعيد، انتظري ولو قليلاً حتى أدرك ما أنا به على الأقل، لكنه لم يستطع، ذهبت ولم يروى ظمأه من عينيها وطلتها بعد،

ثم أفاق على اهتزاز هاتفه فأخرجه سريعاً وأجاب:

- ماذا هناك يا ساهر؟

رد عليه ساهر بنزق:

- هل هذا ما اتفقنا عليه يا حمزة؟! لقد تأخرت كثيراً وأنا لم أستطع المقاومة أكثر فأكلت...وأكلت طعامك أيضاً

عكص حمزة حاجبيه بغيظ وقال مستحلفاً محذراً:

- والله يا ساهر إن كنت أكلت طعامي سآكلك

ضحك ساهر ليغيظه أكثر:

- حسناً لنرى ماذا ستفعل أيها القوي!

رفع حمزة حاجبيه في تحدي وقال بحماس طفولي:

- حسناً يا ساهر سترى بأم عينيك ماذا سأفعل بك

ضحك ساهر قائلاً:

- أين كنت كل ذلك الوقت؟ ولِما أشعر أن صوتك به شيء جديد!

صمت حمزة قليلاً ثم تنهد وقال:

- سأخبرك عندما آتي إليك

رد ساهر بنفاذ صبر:

- حسناً لكن عليك أن تخبرني بأي شيء قبل أن تأتي حتى لا أموت مقتولاً على يد فضولي
- هذا عقابك لأنك أكلت طعامي
- لم آكله للأسف، لقد أخذ أبي طعامك وخبأه مني تحسباً
- آهٌ يا شيخي الحبيب، سأقبل رأسه حين آتي

دخل حمزة بيت الشيخ عرفان وقابلته السيدة "رقية" والدة ساهر بلهفة وقالت له مؤنبه:

- لماذا تأخرت كل هذا الوقت ألا تريد أن ترى خالتك رقية يا حمزة!

- لا تقولي ذلك يا خالتي فلقد اشتقت إليكِ كثيراً، والله العليم بذلك فأنت أمي التي أتمناها بعد فقدٍ

ابتسمت بحنان ودعت الله له ولساهر:

- ليحميك الله لي أنت وساهر وأفرح بكما قريباً

فشرد حمزة في تميمة وابتسم مردداً:

- اللهم آمين
- هيا ادخل وسأحضر لك طعامك

دخل حمزة غرفة ساهر فقابله ساهر ووقف أمامه يسأله:

- هيا أخبرني، أين كنت؟

ابتسم حمزة وقال:

- كنت مع حسن وقابلتها بالصدفة
- قابلت من؟

نظر له حمزة مبتمساً، ففغر ساهر عينيه وابتسم قائلاً:

- قابلت الطبيبة؟!
- نعم
- وما اسمها؟
- اسمها تميمة

عكص ساهر حاجبيه مفكراً وقال:

- اسمها تميمة وعيناها زرقوتان

نظر له حمزة مؤكداً وعلى قسمات وجهه الدهشة، فسأله ساهر مرة أخرى:

- هل يوجد ثلاث شمات على خدها الأيمن؟

غض حمزة ما بين حاجبيه وقال بنظرة ثاقبة:

- هل تعرفها؟!
- إنها أختي

تفاجأ حمزة قائلاً:

- أختك!!!
- نعم أختي، كل المواصفات تقول إنها أختي...عيناها زرقوتان توجد ثلاث شامات واضحين على خدها الأيمن وطبيبة، وحسن يقول إنها دائماً تساعد الصيادين وعائلتهم، في البداية ظننت إنه تشابه أسماء وتشابه في عمل الخير ولكن ليس إلى هذا الحد

تلجم لسان حمزة من المفاجأة واستحى، فنظر له ساهر بعد أن اعتلى ثغره ابتسامة على حال صديقه، فقال:

- تميمة غاليتنا يا حمزة و...

اهتز جسد حمزة فأخبره بضيق:

- أنا لم أتطاول معها أبداً يا ساهر، وأنت تعرف كيف هي أخلاقي

فقال ملطفاً:

- أعلم يا حمزة من أنت، فأنت رجل بمعنى الكلمة، وكنت سأقول أن تميمة غاليتنا وأعلم إنها ستكون غالية عندك وستحميها أيضاً حتى لو لم تكن أختي

ارتاح حمزة وابتسم له ثم استطرد ساهر:

- لكن هناك حقاً شيء تحرك في صدرك ناحيتها، أليس كذلك؟

استحى حمزة وتردد في إخباره، لكنه آثر أن يخبره بحقيقة شعوره حتى لا يشعر بذنب:

- الصراحة لا أعلم ما الذي حل بي بعد رؤيتها يا ساهر، فبعد رؤيتها أشعر إنني مشتاق لرؤيتها مرة أخرى وكأنها ضالتي واهتديت إليها
- مهلاً يا صديقي، كن حذر فأنا أغار على أختي

فابتسم حمزة وسأله:

- ما رأيك بي كطالب ليد أختك؟
- لن أجد أفضل منك زوج لها يا حمزة

فابتسم حمزة وقال:

- وأنا لن أجد أفضل منك صديق وأخ يا ساهر، شكراً لك ولعائلتك على إعطائي كل هذا الحب الذي كنت احتاجه

احتضنا بعضهما البعض وكلاً منهما يحمد الله على النعمة التي حظا بها، صديق وفي مخلص، عضد يشتد به

***

دخلت تميمة من باب المنزل ليناديها جدها:

- تميمة، هل هذه أنتِ؟
- نعم يا جدي إنها أنا
- تعالي إلى الشرفة سنتناول طعام الغداء هنا

توجهت تميمة إلى الشرفة ملقية السلام:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته جميعاً

رد كلاً من وسيم والقبطان عزيز السلام ثم قال لها جدها:

- لماذا تأخرتي كل هذا الوقت يا عزيزتي، لقد قلقنا، هل أنتِ بخير؟

ردت تميمة بتوتر فهي تعلم إلى أي مدى سيقلق جدها عليها إن أخبرته:

- بخير!

نظر لها القبطان عزيز بتمعن:

- أشعر أن كان هناك خطب ما بكِ

توترت تميمة أكتر وتأتأت:

- بعض التعب فقط يا جدي... لا يوجد هناك شيءٌ خطير...

ضيق عينينه قائلاً وهو يكتف يديه على صدره:

- اممم، أشك يا تميمة، أخبريني ماذا حدث؟

زفرت تميمة عندما فشلت في عدم إثارة القلق لدى جدها وأخيها فصت عليهم ما حدث لها:

- لقد فقدت توازني بسبب انخفاض دورتي الدموية، لكنني وجدت من يساعدني

سأل وسيم بخوف:

- هل أُغمى عليكِ يا أختي؟
- لا لم يُغمى عليّ، لكن دخت قليلاً وفقدت توازني بعدها، وساعدني حمزة، شاب يعرفه صديقي الصغير حسن وسيدة كبيرة أطعمتني بعض الطعام
- الحمد لله إنكِ وجدتِ من يساعدك، عليكِ أن تهتمي بتناول وجبة الصباح، فليس كل مرة تسلم الجرة

هزت تميمة رأسها موافقة على كلمات جدها، ثم شردت في كلمات أخرى، كلمات السيدة الكبيرة ونظرات حمزة لها.

.....

أثناء مشاهدتهم التلفاز نظرت تميمة لجدها وسألته:

- جدي!، متى سأقابل جدتي؟
- ليس الآن يا عزيزتي، لكنها ستقوم بالإتصال بكما قريباً وستتحدثان معاً وتفيضان لبعضمكا البعض بما يعتمربه قلبكما
- لماذا يا جدي؟! هل هناك خطر عليّ؟

- نعم، فإن نجحت هالات الظلام في الإستيلاء على عرش البحور السبعة ستُفتح أبواب الجحيم على البر والبحر وستبث هالات الظلام شرورها، وستمنع خير البحر عن البر كحصار وسيحدث كل ما هو سيء يا تميمة

ارتابت تميمة وشعرت بأن الأمر ليس سهلاً أبداً واستبد بها القلق وظلت تسأل نفسها هل ستكون قادرة على التصدي لهالات الظلام وأتباعها خلال تلك المغامرة أم لا

لاحظ الجد قلقها وارتيابها ثم قال مشجعاً:

- أعلم إنك خائفة ومرتابة لكن أعلم كم أنتِ قوية لذا تماسكِ وكوني قوية كما عاهدتك

اغرورقت عينيها بالدموع ونظرت إليه وهي تقول:

- أنا لست بتلك القوة يا جدي كما تعتقد، قد أكون قوية ولكن لأنني أتشبث بك وبوسيم، أنا قوية بكما لأنني أعلم إنكما بجانبي
- أبداً يا تميمة، أنا ووسيم من نتشبث بكِ دائماً، قولي لي يا تميمة من كان يلملم شتاتي بعد أن اختفى ولديّ وزوجته غيرك على الرغم من إنهما والداكِ، كنتي تتألمين لكن في صمت، ومن كان يهتم بوسيم ويبث له حنان الأم غيرك أنتِ، كنتِ تدعمينا طوال الوقت وأنتِ الأكثر حاجة للدعم، إذاً كيف تقولين إنك لستِ قوية!

فرت دمعة من عينيها لكن سريعاً اتشح وجهها بالثبات والقوة، ثم حضنت جدها لتشعر بالدفء والأمان والقوة أكثر، فحاوطها وسيم واحتضنها أيضاً بعد أن أفلتت جدها وقال:

- لم أكن أعلم إنني مصدر لأمانك يا تميمة وأنتِ كنتِ من تعطيني هذا الأمان يا أختي، شكراً لكِ

نظر لهما جدهما وقال بمرح:

- من يريد الذهاب غداً للشيخ عرفان؟

نظرا إلى جدهما وابتسما قائلين في صوت واحد:

- أنا

نمرد

من على عرشٍ تزينه رؤوس الأفاعي السوداء ذوات الأعين الحمراء، صرخت مخلوقة لا تشبه البشر وأقرب ما تكون للوحوش، وجهها منفر، شفتاها سودوتان، عيناها شقين طوليين يشتعلان ناراً، وشعرها الغريب ينسدل حولها بشكل مخيف لتُصبح أكثر نفوراً وظلمة، قالت ولسانها يصدر فحيحاً يشبه فحيح الأفاعي بشقيه:

- إن لم تصلوا لتلك الفتاة سأقتلكم جميعاً أيها الضعفاء، إن لم يحضر لي أحدكم رأسها سأقتلع رؤوسكم وبنفسي

ثم نزلت من على عرشها لتظهر رجليها التي تشبه أرجل الغربان وأمسكت برأس أحدهم واقتلعته وأكلته أمامهم من شدة ثورة غضبها والتي عندما تعتريها لا يُهدأها إلا رائحة الدماء

ارتفع صوتها مرة أخرى بنشيج مخيف، تتمتم بكلمات تقشعر منها الأبدان خوفاً، وعلى إثرها التفت الأفاعي حولها تصدر فحيحاً عالياً، حتى ظهر لها من العدم رجل غريب المظهر بلحية سوداء مُشعسه، وعينيه الغائرتين يتشح حولهما السواد يعلوهما حاجبين غليظين مبعثرين، وأنفٍ حاد طويل، وشفتين غليظتين بهما مسحة سواد وزُرقة، فقال لها بتوتر والعرق يغطي جبينه لاستدعائها له:

- أمرك يا ملكة الظلام

همست بفحيح واسع المدى وقالت:

- أمري!، أنت ضعيف ولا تستطيع أن تنفذ أمري، كل هذا الوقت وأنت لا تستطيع الإتيان بتلك الفتاة لي!... لماذا؟

قال كاعد وهو يخفض وجهه تذللاً لها:

- الفتاة يا سيدتي لا أستطيع الإقتراب منها مهما فعلت، فهي دائماً مُحصنة

زمجرت بغضب وهتفت:

- كيف؟!، ألهذه الدرجة قوية؟..أقوى منك أيها الضعيف

احتقن وجهه بدماء الغضب حتى صارت عيناه حمروتان كالدم وأخذ يتباهى:

- لا أحد أقوى مني أنا، أنا كاعد الذي يملك كبار الجن والإنس تحت يديه، آمرهم فينفذون خوفاً مني وطمعاً في البقاء بجانبي، أنا...

وقبل أن يُكمل جملته اهتزت الأرض من تحت قدميه وخارت قواه بعد أن وضعت هالات الظلام سبابتها على جبهته وقالت بغضب ملحوظ وبصوت مرعب له صدى:

- أنا من صنعتك ولن تكون أقوى مني، لا تنسى ذلك أبداً

أظلم وجهه وارتعدت ملامحه وقال بخفوت:

- السماح والعفو يا ملكتي، لا أقصد أن أتجاوز حدي معكِ

نظرت إليه نظرة جامدة باهتة تبث الرعب، وانزوت ابتسامة تكبر وانتصار واحتقار له:

- الفتاة سيأتيها منام عن قريب لأول جزء من الأجزاء وستقوم بالرحلة، أريدك أن تسبقها لتلك الأجزاء، أو الأفضل أن تقتلها أو تستحوذ عليها
- أمرك يا ملكتي

***

في "نمرد" يتشح كل شيء بالسواد، فالظلمة واللزوجة تحيط بكل مكان، والرائحة القذرة تنبعث بلا توقف، مكان يملؤه الحطام والهياكل العظمية للمفقودين، مكان مهجور منبوذ في أعمق نقطة في المحيط، وفي هذا المكان تعيش هالات الظلام، وفي زنزانة في ذلك الصرح المظلم كان هناك رجل يحوقل هو وزوجته منتظران الفرج من الله بثبات ورضا بقضائه وبلطفه الخفي.

ظهر أمامهما ذلك الكائن الغريب الذي يحضر لهما الطعام دائماً، كائن لا يظهر من جلده المذاب غير عينيه التي تشبه الأزيج، كما تعلو رأسه نتوءات مفرغة تعيش بداخلها الأفاعي، رمى لهما هذا الكائن الطعام أمامهما كالعادة بعد أن زمجر بلغة لا يفهماها كما لم يفهما نوعيته التي لم يرا مثلها في كتب الأساطير ولا في غيرها، تركهما لتأتي بعده تلك المرآة التي ساعدتهما ونقلت لهما الأخبارمنذ أول يوم آتوا فيه إلى صرح نمرد، "السيدة آرسيل" من قبيلة آمشار التي أصبحت تابعه لهالات الظلام بسبب طمع الملك ووزراءه للقوة والمال التي أغرتهم بها، وبالتالي أصبح شعب آمشار تابع لها وخادم لمصالحها حتى لو كان رغماً عنهم، أصبح شعب آمشار يخاف أن يتكلم حتى يأكل ولو كان الفتات، السادة يملكون رفاهية اللعب واللهو والشعب لا يملك رفاهية الطعام، شعب ذُل على يد راعيه قبل أن يُذل على يد ملكة الشر، لا يأتي القهر من أعدائنا بل يأتي من دوامة طمع حكامنا الذين نأمنهم على حيواتنا وأموالنا ومصالح بلادنا، فيلتهمنا الفقر والجهل والخوف الذي يطبق على نفوسنا ويلثم أفواهنا

أقبلت السيدة آرسيل عليهما بلهفة وهي تلهث وتقول:

- هناك أخبار سيئة ولكن يجب أن تعرفوها

نظرا إليها بقلق ثم قال القبطان حسام:

- ماذا هناك يا سيدة آرسيل؟
- تميمة!... تحاول هالات الظلام آذيتها والاستحواذ عليها فعما قريب ستأتيها المنامات

انقبض قلب القبطان حسام وشهقت السيدة آسين خوفاً، فاستطردت السيدة آرسيل تطمئنهما:

- لا تقلقا، هم يحاولون وفي كل مرة يفشلوا، ابنتكما مُحصنة بكلمات الله وبالإيمان الذي بقلبها...عليّ الذهاب الآن فقد يلاحظوا غيابي

ارتاح قلبيهما من كلمات السيدة آرسيل الأخيرة وطفقا يدعيان لها ولوسيم بأن لا يطالمهما شر أبداً، وما لبثت بضع دقائق حتى ظهر لهما شخص لا تظهر ملامحه من تحت الرداء الأسود الطويل الذي يرتديه، أخرجهما من الزنزانة، فأمسك القبطان حسام بيد زوجته ليحميها من أي تصرف خطير قد يقوم به هذا الكائن، وهمس لها:

- لا تخافي يا حبيبتي، الله معنا

فشددت السيدة آسين على يده لتشد آزرها مرددة:

- الله معنا

خرجا من الزنزانة التي كانت تلتف حولها سلالم طويلة لزجة، كما كانت كل زنزانة على هذه الشاكلة، لا تتصل الزنازين وكأنها أشجار جزوعها سلالم وأجمتها الزنازين، وبعد أن هبطا السلالم دخلا إلى ممر ضيق يخطف الأنفاس وكأنه خالي من الأكسجين، معتم حالك السواد ومن الممر هذا إلى ممر أضيق ومن هذا إلى ممر آخر أوسع ومن ثم إلى آخر حتى خرجوا إلى ساحة كبيرة توجد في كل زاوية من زواياها الأربع شعلة من لهيب أزرق وعندما ظهر أمامهما عرش رؤوس الشياطين انقبض قلبيهما حتى ظهرت لهما هالات الظلام فجأة أمام عرشها من العدم تزمجر وتزوم بضحكات شريرة وهي تقول:

- ابن عزيز وابنة نوران تحت رحمتي ولا مفر لهما من قبضتي

ابتسم القبطان حسام وبثبات قال:

- كلنا تحت رحمة الله

نظرت له بشر وزمجرت بغضب، فاستطرد:

- ماذا تريدين منا؟
- ولائكم لي، وبالتالي ستضمنون الأمان مني ومن بطشي

ابتسم القبطان حسام بسخرية:

- وكيف أضمن الأمان من الظلام و أنا فيه سأكون أعمى

قالت بغضب:

- ألا تخاف مني؟...قل لي ألا تخاف على ابنتك التي سأدهسها وأمزقها إرْبًا إرْبًا

اختلع قلب السيد حسام وزوجته خوفاً على ابنتهما، لكنه قال بصوت يملأه الثبات:

- ابنتي معها الله وسينصرها

صرخت هالات الظلام وانطفأت النيران المشتعلة من شدة دوى صوتها واهتزت الأرض من تحت قدميهما إلى أن قلبيهما كانا ثابتين كثبوت الجبال، ثم هددتهم بغيظ:

- إذن لن ينج أحد من غضبي وأولهم أنتما، سأعذبكما وأحبسكما للأبد في ظلام زنازيني، تحاوطكما وحوشي حتى تموتا

ثم أمرت الكائن ذو الرداء بأخذهما للزنزانة، كما أمرت بتعذيبهما ومنع عنهما الماء.

بعد ساعات من التعذيب المؤلم، ارتمى القبطان حسام على الأرض من شدة الإعياء وهو يحتضن زوجته إلى صدره التي تئن من الألم، ظل يحوقل، داعياً، شاكياً لله وعينيه تملأهما الدموع فلا مفر لهما من هنا مع كل تلك الحراسة ومع تلك الزنازين، حتى خطرت بباله فكرة مع قدوم السيدة آرسيل التي حالما سمعت بما جرى لهما أتت ببعض الإسعافات التي قد يحتاجاها، فطلب منها دون مقدمات:

- سيدة آرسيل، نريد منكِ خدمة

- اطلبا، وإن استطعت سأنفذ
- تعلمين إننا لا نملك فرصة في الهروب من هنا، ولكن أنتِ قد تستطعين الهرب من هنا والذهاب لمملكة النور لطلب النجدة

خافت السيدة آرسيل قليلاً، ولكن ما لبثت ثواني حتى تحولت ملامحها لقوة وعناد موافقة:

- حسناً، صحيح أن كل الاحتمالات تقول إنه من الصعب خروجي من هنا إلا لإنني لم أجرب من قبل، والآن حانت اللحظة التي يجب فيها أن أتشجع وأخرج من هذا المكان المقرف، ولكن إن خرجت من هنا ولم أعد لكما في اليوم التالي فهذا قد يكون لأمران، أحدهما إنني استطعت الهرب، والآخر إنهم قاموا بالإمساك بي، وهذا الأخير لم يعد يفرق معي ففي حالتي هذه أنا مقضي عليّ بالموت وأنا على قيد الحياة، لذا الأمر يستحق المغامرة لنيل الحرية التي أهفو إليها

ابتسم لها القبطان حسام بامتنان، ومدت السيدة آسين يديها لتحتضنها من خلف القضبان وهي تشكرها:

- شكراً لكِ يا سيدة آرسيل، أنا ممتنة لكِ كثيراً

فابتسمت لها آرسيل بود، ثم مدت السيدة آسين مرة أخرى بعقدها الذي صُنع بحبات من أحجار القمر وحبات اللؤلؤ الزرقاء وقالت لآرسيل:

- هذا العقد سيكون دليل على صدق كلامك أمام ملكة النور، أيضاً الجملة التي قالتها لي حين أعطتني إياه سأخبركِ بها لتكون حجتك أقوى
- حسناً، كلي آذان صاغية

***

استعدت السيدة آرسيل للهروب في الليل، وجهزت موؤنتها التي ستعينها على السفر من صرح نمرد الخطير إلى مملكة النور حيث بر الأمان.

مملكــة النـــور

في أزج طويل يختلف عن باقي الأُزج برسوماته التي تُظهر المحاربين والمحاربات القدامى في معارك تحتشد فيها قوى الخير وقوى الشر بضراوة، تنتشر على طول الجدران حتى السقف وقبته التي تنتهي فيها المعركة بانتصار الخير وانحسار الشر في امرأة بظل أسود يحاصرها العديد من الرجال والنساء المنتصرين بملابسهم البيضاء المتدرجة بالذهبي، كانت ميسال تتابع تلك المعركة في كل مرة تمر بها في هذا الأزج بنفس الشغف لغرامها بفنون القتال واستخدام السيف والرماية؛ غير باقي الفتيات التي تهتم بأشياء أخرى، وكان هذا الأمر يغيظ والدتها كثيراً فهي تريد ابنتها الكبرى كباقي الفتيات تهتم بما يهتممن به، كانت دائماً تقول لها عندما تشاهدها بملابس الجنود وتحمل أسلحة التدريب إنها فتاة جميلة ولا يستحق جمالها كل هذا التعب، وفي كل مرة كانت تقول لها إنها تحب ما تفعل، وتشعر بالأمان كلما تعلمت فن من فنون القتال حتى وإن كان يحميها ألف محارب ففي وقت الحرب لا تريد أن تكون عبئاً على أحد أو مصدر ضعف لهم، وفي كل مرة كانت ميسال تكسب الجدال الذي تبدأ به والدتها.

دخلت ميسال القاعة بعد أن شغفتها تلك المعركة الموشومة بها الجدران للمرة المائة، وأمسكت قوسها وجعبة الرماح بشدة وعزيمة، ثم أخرجت رمح تهم بإلقائه على الهدف وما إن أصابته حتى استلت رمح آخر وبسرعة البرق أصابته في نفسى مرمى الرمح الأول ثم الثالث تِباعاً، فخرج أشهب عن صمته من إحدى زوايا القاعة مصفقاً لها.

"أشهب" أحد أهم قادة جيش النور رغم صغر سنه، كما أن عائلته مقربة من العائلة الملكية وصديق "لبيد" المقرب؛ أخ ميسال التوأم.

توترت ميسال عندما رأته إلا أن قلبها سعد لذلك، فابتسمت ابتسامة خجلة، وكذلك هو ثم قال بعد صمت طال:

- آسف إن أزعجتك يا آنسة ميسال
- لا، لم تزعجني أبداً يا سيد أشهب

ظل كلاهما على حاله وكأن الوقت في حضورهما وبينهما لا ينتهى أبداً ولا يساوي شيئاً أمام لحظة من لحظات اجتماعهما العفيف الذي لا يتخلله نظرة طويلة ولا يتعدى حدود الخجل وكأنهما يكتفيان أن تتواجد أنفاسهما بنفس المكان، وتمنيّ كل منهما للآخر بصمت ورجاء من الله، حتى قطع صمتهم صوت"أريج الصغيرة" وهي تنادي على ميسال:

- ميسال!، تميمة موافقة على خوض الرحلة، كما إنها متشوقة للتعرف علينا

ابتسمت ميسال بسعادة:

- حقاً!، انتظري أنا آتية معكِ

نظرت لأشهب بعينيها العسليتين وأهدابها الطويلة السوداء واستأذنت بحياء:

- عن إذنك يا سيد أشهب
- بالطبع، يمكنك الذهاب

خرجت ميسال وتابع هو خروجها حتى اختفت عن أنظاره ثم تنهد.

***

دخلت ميسال على جدتها بلهفة وهي تقول:

- لقد أخبرتني أريج أن تميمة مستعدة للرحلة، كما إنها متشوقة للتعرف علينا، هل هذا صحيح؟!

نظرت أريج لميسال بغضب وقالت وهي تعكص حاجبيها:

- ألأنني صغيرة سأكون غبية!؟، تأكدي يا ميسال أن ما قلته صحيح!

ضحك الجميع على فصاحة أريج، فقالت ميسال بعد أن نزلت على ركبتيها:

- لا تغضبي يا صغيرة، أنا متأكدة من كلماتك ولكنني من فرط السعادة أحتاج أن أتأكد أكثر
- حسناً، أعطيني حلوى حتى أتخلص من غضبي عليكِ

ضحك الجميع، ثم قالت ميسال:

- حسناً يا جميلتي، راضية الآن
- راضية.

حقيقة على وشك الظهور

في بيت الشيخ عرفان جلس كلٍ من ساهر وحمزة والشيخ عرفان في مجلس البيت يحتسون الشاي ويتسامرون، فقال الشيخ عرفان سائلاً وعينيه تتمعن بوجههما بتركيز:

- هل هناك شيء أثار انتباهكما أو ريبتكما في رحلة العمل تلك

نظر له حمزة بعينين لامعتين، ورد ساهر:

- كانت رحلة موفقة، لكن كان هناك فعلاً شيء غريب يحدث يا أبي

ترقب الشيخ عرفان باهتمام وطلب تفسيراً:

- ما الأمر الغريب؟
- الكائنات البحرية كانت في حالة ريبة كأنها تهاجر في غير أوقات هجرتها

ثم أكمل حمزة:

- كما أن الردار وأجهزة الملاحة كانت تتعطل في مواقع مختلفة في البحر على غير العادة ولولا خبرتنا في الاهتداء بالنجوم ليلاً والاهتداء باتجاه الرياح لكنا الآن في البحر تائهين

أمسك الشيخ عرفان لحيته مفكراً وقال وهو ينظر للفراغ:

- أظن أن ما أخشاه قد حدث

عكص ساهر ما بين حاجبيه وشرد حمزة بفضول وشرارات الإثارة تتقافز بعقله، وقبل أن يرويا فضولهما بطرح الأسئلة قاطعهما رنين هاتف الشيخ عرفان.

فرد الشيخ عرفان على هاتفة بإبتسامة بعد أن وجد المتصل صديقه القبطان عزيز، وبعد أن أنهى الشيخ عرفان الاتصال قال لهما:

- استعدا فنحن على شفا مغامرة خطِرة

نظرا إلى بعضهما البعض ثم إلى الشيخ عرفان وقالا بحماس:

- ما هي مغامرة؟

نظر لهما بتمعن وقال:

- أتصدقان القصص التي قصصتها عليكما من قبل؟
- بالتأكيد يا شيخي
- طبعاً يا أبي

ابتسم الشيخ عرفان وقال:

- جيد، في الغد سأخبركما بكل شيء مع القبطان عزيز الريس، فالأمر سيطول شرحه

انتبه حمزة على سيرة عزيز الريس وابتسم، فابتسم ساهر ولكز حمزة في ذراعه وهمس له بخبث:

- اهدأ قليلاً ولا تنس إنها أختي فلا تتحمس

ضيق حمزة عينيه وقال هامساً هو الآخر:

- سيحين وقت أرد لك فيه الصاع صاعين

فابتسم ساهر ثم قال للشيخ عرفان:

- هل سيأتي وسيم وتميمة أيضاً
- نعم سيأتيان

جفاه النوم خارج أحضان حبيبته كالعادة، فذهب إليها مسرعاً وهو يحمل قهوته، افترش على خشبها البلوطي الأحمر، ثم نظر للسماء لتتراءى على صفحتها؛ صورتها، فابتسم وخفق قلبه بشدة وهمس بشغف:

- ما بال قلبي بكِ يا بنت آل الريس!

ثم انتبه لقهوته التي بردت وكأن تميمة أتت لتخرج كل لفظ أنثى من حياته ولتبقى هي تتراءى له على صفحة السماء، وما بين قهوته التي يستلذ بها وأحضان سفينته، تميمة هي أول أنثى تدخل حياة حمزة، فحمزة ليس من أولئك الرجال الذين لا يستبيحون أعراض الفتيات وقلوبهن، حمزة رجل شهم ونبيل، وقبل أي شيء يحب الله ويخافه، ولم يجد ضالته إلا الآن، وجدها في تميمة نصفه الآخر من خفق لها قلبه وبما إنه وجدها فلن يضيعها أبداً سيبذل كل غالي ونفيس للحصول على رضاها في الحلال.

رشف رشفة من قهوته الباردة فعكص ما بين حاجبيه لبرودتها، حتى سمع صوت ساهر وهو يتسلق السفينة فابتسم قائلاً:

- ساهر!، أتمنى أن تكون أحضرت معك حب عباد الشمس

ضحك ساهر:

- في كل مرة تقول لي نفس الكلام ، وفي كل مرة تعلم إنه أنا وليس أحد آخر، كيف ذلك؟
- لأنه في كل مرة لا تقوم بإنزال السلالم المتحركة، كما أفعل أنا أيضاً

صمتا قليلاً حتى قطع ساهر هذا الصمت وقال مفكراً:

- أعتقد أن هناك أمراً كبيراً يحدث!، وسوف يخبروننا به في الغد
- وأنا أيضاً يا صديقي، لكني مستعد، هل أنت مستعد؟

ابتسم ساهر وقال بمزاح:

- لقد جاء التشويق والإثارة إلى عقر داري، هل جننت لأتركهما دون رفقتي؟

ضحك حمزة مجيباً:

- أبداً!

فنظر له ساهر مرة أخرى وقال بلؤم:

- قل لي، ماذا ستفعل غداً في حضور تميمة؟
- سأغض بصري عنها
- هل ستغض بصرك عنها طوال الحياة وأنت معجب بها؟
- لا سأطلبها منك عن قريب... فلولا خوفي من رفضها لي لكنت طلبتها منذ أول يوم رأيتها فيه
- أنا موافق، كما أشعر أنها قد توافق، فأنتما تستحقان بعضكما البعض فكل منكما شبيهٌ للآخر

ابتسم حمزة بعذوبة قائلاً:

- حقاً نشبه بعضنا
- نعم، لكما نفس المبادئ وكثير من الصفات المشتركة، كما أشعر دائماً إنها حقاً تشبهك شكلاً

فابتسم حمزة فرحاً ونظر للسماء يبحث فيها عن ملامحها.

لقاء آخر وحقيقة مُنتظرة

كان صوت النوارس عالياً في الصباح، وقطرات الندى ونور السماء الصافي يغطيان كل مكان، وصوت الأمواج الصاخب ينعش القلب ويوقظ كل غافي، إلا هما لم يستسقظا إلا على تبرز طيور النورس ومناقرتها لهما

استيقظ ساهر صائحاً غاضباً على سقوط براز طائر النورس على عينيه:

- لاااا!، أيها الطائر الغبي سأقتلك، طائر قذر

أما حمزة فكان يمسح البراز من على جبهته، ويحاول أن يبعد طائر آخر عن قلادته التي يحاول سرقتها، وبعد مناقرات وجولات قتالية عديدة نجح حمزة في إبعاد الطائر عن قلادته، ثم قرب الخاتم والمحبس المعلقين من فمه وقبلهما بحب، فنظر له ساهر بألم متمنيًا لصديقه العوض هو وتميمة الذي اختارها قلبه، وأن يكونا عوضاً لبعضهما البعض عن الأيام التي حُرموا فيها من أم وأب، ثم قال له:

- هذا الخاتم رائع الجمال والرقي يا حمزة، ينم عن ذوق رفيع سواء من والدك أو والدتك

ابتسم حمزة ونظر للخاتم بحب وقال:

- أتعلم أن والدي هو الذي صنعه لأمي بيديه وهو الذي اختار اللون الأخضر الزمردي خصيصاً ليكون لون حجر الخاتم؛ لأنه اللون الذي يشبه قلب أمي، قلب ملىء بالخير والحب، كان يقول لي إنها دائماً تحب فعل الخير حتى وإن كان للطيور في الطرقات، فكانت تخرج تضع الحب والماء في أماكن تجمعهم، وأن الجميع يحب

مجالستها لخفة ظلها وخفة روحها... كم أتمنى أن أرى أمي وأحتضنها الآن

فاقترب ساهر منه ووضع يده حول كتفه وقال:

- سيعوضك الله يا حمزة، إن الله يُمهل ولا يُهمل
- الله لا ينسى عبده أبداً يا ساهر، لقد وهبني العديد من النعم ومن بينها صداقتك يا ساهر وحب والدك ووالدتك لي، عوضني الله بكم والحمد لله على نعمه

ابتسم ساهر واقترب من صديقه يعانقه قائلاً:

- ونعم الصديق أنت يا حمزة

ابتسم حمزة للعناق، ثم نظر لساعته التي أصدرت صفيراً لميعاد حدده، فصاح:

- أظن أنه علينا الآن الذهاب إلى البيت حتى لا نتأخر ويقتلنا الشيخ عرفان
- نعم، هيا بنا

دخلا المنزل ليجدا القبطان عزيز قد وصل، يجلس مع الشيخ عرفان ومعهما وسيم الذي وجده حمزة يشبه تميمة كثيراً لكن بشكل رجولي، فألقيا السلام على الحاضرين فقدم الشيخ عرفان حمزة للقبطان عزيز، فقال حمزة ماداً يده مسلماً:

- سعيد لأنني تعرفت أخيراً على حضرة القبطان عزيز

ابتسم عزيز وقال:

- أنا سعيد أكثر يا حمزة لأنني تعرفت عليك، فلقد كنت أسمع فيك شعراً ومدحاً كثيراً، في أخلاقك وشخصك من عرفان وساهر وأظنهما على حق

- شكراً جزيلاً يا سيدي

ظلوا يتحدثون في العديد من المواضيع حتى قطع عليهم حديثهم دقات يد تميمة الرقيقة المتتالية على الباب وهي تقول:

- لقد جهز الطعام يا جدي

عندما سمع حمزة صوتها خفق قلبه بشدة وفاضت في عينيه كل نظرات الحب.

فرد عليها جدها وقال:

- سنأتي حالاً يا ابنتي

قام الرجال واتجهوا إلى غرفة الطعام، ليتناولوا طعامهم الشهي مادحين طعام السيدة رقية ومتمتمين لها بالدعاء، وتناولت تميمة والسيدة رقية طعامهما في الغرفة المخصصة للنساء، تناولت تميمة طعامها بنهم لشدة لذته، وقالت:

- حقاً يا خالتي رقية إنك أفضل طاهية قد آكل من يديها، سلمت يداكِ يا حبيبتي الغالية

ابتسمت السيدة رقية ابتسامتها المبهجة وقالت:

- عزيزتي!، لقد ساعدتني كثيراً، لولاكي ما كنت طهيت كل هذا الطعام، فإن كان الطعام لذيذاً فهذا لأنكِ من ساعدني فيه
- حبيبتي يا خالتي

ثم قامت وقبلت خديها...

السيدة رقية سيدة بسيطة ترضى بالقليل وكأنه الكثير، عطوفة مليئة بالحيوية، تحب الونس والأفراح، تعشق الطهي، كريمة لأبعد حد، بيتوتية، متعلقة بزوجها بشدة وأشد تعلقاً بساهر وتميمة ووسيم، فساهر طفلها الوحيد الذي أنجبته، وتميمة أخت ساهر بالرضاعة والتي عوضتها هي ووسيم عن رغبتها بالإنجاب مرة أخرى لإظطرارها لإزالة الرحم بعد

ولادة ساهر مباشرةً وخضوعها للكثير من العلاجات التي جعلتها غير قادرة على إرضاعه أيضاً، فقامت والدة تميمة بإرضاعه كما اهتمت بها وبراحتها وظل ذلك المعروف في رقبتها حتى هذا اليوم وزاد حبها لتميمة ووسيم فوق حب الأمومة حبٌ كبير آخر، حبٌ واحترام لوالدتهما.

انتهى الجميع من تناول الطعام ورفع ساهر ووسيم الأطباق من على المائدة إلى المطبخ لمساعدة السيدة رقية وتميمة، ثم قال ساهر لهما بعد أن دخل عليهما:

- سنجتمع جميعاً في الشرفة لنتحدث، بعد أن تنهيا ما بيديكما فضلاً منكما أحضرا الشاي
- حسناً يا أخي، لكن أعلم إنها المرة الأخيرة التي سأجعلكم تحتسون فيها الشاي بعد الطعام مباشرةً، لولا صديقك هذا كنت سأحضر لكم مشروب النعناع الأخضر لأن هذا أفضل، أتعلم...
- يا آلهي يا تميمة لقد نسيت إنكِ طبيبة وستوجعين رأسي بمحاضراتك الطبية تلك، يا ليتني جعلت وسيم يطلب هو الشاي
- أيها الغليظ، أنا أخاف عليكم، احتساء الشاي بعد الطعام مباشرةً يمنع الجسم من الإستفادة من الحديد الموجود بالطعام وأيضاً...
- حسناً يا تميمة أنا آسف، لن أعارضك أبداً، هل أذهب الآن

عكصت ما بين حاجبيها وقالت:

- اذهب أيها الغليظ

ضحكت السيدة رقية عليهما، فنظرت لها تميمة قائلة:

- حتى أنتِ يا خالتي
- لا يا حبيبتي أبداً، أن أحب مشاهدتكما وأنتما تتحدثان هكذا، وسأشرب أنا وأنتِ النعناع

ابتسمت تميمة وحملت صينية الشاي وخرجت مع السيدة رقية إلى الشرفة دخلت السيدة رقية أولاً وألقت السلام ثم دخلت من بعدها تميمة خجلة من الشخص الغريب الموجود بينهم، لكنها تعلم إنه عليها التعود عليه فهذا

الغريب سيكون له مهمة في رحلتها كما قال لها جدها والشيخ عرفان، حتى السيدة رقية التي أظهرت له الاحترام والحب

وضعت تميمة صينية الشاي على الطاولة وجلست لتتفاجأ بحمزة بينهم، أطالت النظر إليه لتتأكد إن كان هو، فقال لها جدها:

- هل تعرفين حمزة يا تميمة؟

تنحنحت بخجل وتوردت وجنتاها قائلة:

- نعم

نظر الجد إلى حمزة ثم إلى تميمة وقال متسائلاً:

- حقاً!، يا للصدفة، أين تعرفتما؟
- إنه الشاب الذي ساعدني يا جدي عندما شعرت بالإعياء

وقف القبطان عزيز من مقعده واقترب من حمزة ماداً يده ليصافحه وهو يشكره بامتنان:

- شكراً لك يا بُني، لأنك كنت شهماً مع حفيدتي

فوقف حمزة هو الآخر مصافحاً إياه وهو يبتسم بخجل قائلاً:

- لا شكر على واجب يا سيدي، كان من الواجب أن أساعد
- أنت شهم يا بُني، وأريد منك ألا تناديني بسيدي، نادني بجدي

ابتسم حمزة وانشرح صدره قائلاً:

- يسعدني أن تكون لي جَداً يا حضرة القبطان

ربت القبطان عزيز على كتفه مبتسماً وجلسا مرة أخرى تحت أنظار الجميع خاصةً الشيخ عرفان الذي لاحظ نظرة حمزة لتميمة عندما دخلت عليهم وكأنه رأى القمر، نظرة لا ينظر بها إلا من آسره الهوى، نظرة خاطفة رغم إنها كانت مليئة بالحب أطناناً، نظرة أظهرته ولهاناً وأظهرته رجلاً حقيقياً لا يُبيح لنفسه حرمة ليست حلاله، نظرة فرح بها الشيخ

عرفان وكأن ما تمناه من قريب سيصير حقيقة، كذلك السيدة رقية التي لاحظت خجل تميمة غير العادي الذي أضاء وجهها وكأنها صارت قمراً، الخجل الذي خلّفته دقات قلب سريعة ورجفه لطيفة ما بين الضلوع، خجل يحمل رسالة محتواها" لقد خُطف قلبي"، فتملكتها السعادة عندما رأت أن ما تمنته قد اقترب تحقيقه، حتى الجد ووسيم تمنوا شيئاً ما في أنفسهم.

ثم استئنف القبطان عزيز الحديث مرة أخرى قائلاً:

- الآن يجب علينا أن نتكلم، حمزة!، ساهر!، هناك شيء علينا أن نخبركما به

انتبه كلاً منهما وفي داخلهما شعور بأن هناك فعلاً شيءٌ كبير، ثم أكمل الشيخ عرفان حديثه وقال:

- لقد حدثتكما عن الكثير من مغامراتي أنا والقبطان عزيز ولم أسألكما يوماً إن كنتما تصدقونها أم لا، واليوم أريد أن أعرف، هل تصدقون؟!

رد حمزة بثقة وقال:

- أصدقك يا شيخي، فأنا أشعر أن هناك أشياء لا نعلمها ولا ندركها بعد، صحيح إني لم أرى ما رأيتماه، إلا إنني رأيت أيضاً أشياء انتبه لها عقلي فقفزت تلك القصص التي رويتها لي يا شيخي، ولكني لم أكن متأكداً مما رأيت أو أردت من نفسي عدم التصديق
- أخبرنا عن ما رأيته وما استغربته يا حمزة
- رأيت في مرة من مرات إبحاري ليلاً رؤوساً لها شعور تلمع في الليل كالنجوم، ظننتها في البداية قناديل، لكن مع تكرار الأمر نهاراً بدا لي إنها رؤوس لبشر، أيضاً أظن إنني شاهدت حبار عملاق ضخماً في مرة من مرات غوصي، حاولت تتبعه ولكنه كان أسرع مني، ظننت في البداية إنني أتوهم ولكن آثاره التي خلفها من وراءه جعلتني أتأكد أكثر من كونه حباراً وإنني لا أتخيل، وكما تعلمون الحبار كائن مائي منقرض أو هذا ما يظنه الناس الآن.

ابتسم كلاً من الشيخ عرفان والقبطان عزيز وهما ينظران إليه، ثم قال القبطان عزيز:

- أصبت يا حمزة، هناك فعلاً أشياء لا نعلمها عن هذا العالم الكبير تحت الماء، وسنخبركما بما نعرفه وخبئناه عنكم طوال هذا الوقت، ولكن بعد أن نسمع رأي ساهر هو الآخر

فنظر لهم ساهر وقال:

- لن أكذب وأقول إنني أصدق كل تلك القصص، ولن أنكر أن هناك أشياء أثارت فضولي، صحيح أن ما سأقوله قد يكون افتراضات، إلا أن هذا ما أشعر به داخلي
- أخبرنا يا ساهر بما تريد
- هناك أشياء ترغمني بالتفكير أن هناك أناس يشبهوننا أو مثلنا يعيشون تحت الماء، حضارة كاملة من البشر!

قال ساهر كلماته فانتبه إليه الجميع والتفتوا إلى بعضهم البعض، فانتبه عليهم حمزة، وهمس لنفسه قائلاً:"بالتأكيد! هناك أخبار سأفغر لها فاهي"

نظر لهم ساهر هو الآخر وكأنه تأكد من سلامة افتراضه من تعابير وجوههم وانتباهم، فاستطرد:

- لا أعلم كيف يعيشون تحت الماء، لكني أعلم أن الله قادر على كل شيء، هناك آثار تشير على أن هناك فعلاً أناس يعيشون تحت الماء، غير الأساطير والحكايا التي تناقلها الناس عبر الأزمان مثل أسطورة مدينة أتلانتس الضائعة، ناهينا طبعاً عن الماثوليجيا الإغريقية والترهات التي يبتدعوها، لكن الأسطورة لا تنشأ جُذافاً دائماً ما يكون هناك شق حقيقي تبنى عليه الأسطورة، وهناك دلائل مادية أيضاً، كالشلال الذي وجد تحت الماء في مضيق الدنمارك، والمعالم الآثرية المختلفة عن جميع آثار العالم التي اكتشفها العلماء سنة ٢٠٠١ وعند دراستها وجدوا أن عمرها ٩٥٠٠ عاماً، لماذا لا نفترض تلك الآثار لوجود تلك المدينة.

فخرجت تميمة عن صمتها:

- صدقت يا أخي، هناك فعلاً عالم آخر تحت الماء، والله أعلم إن كان هناك أكثر مما عرفت أم لا

نظر ساهر لتميمة بتمعن وقبل أن يتكلم سبقه القبطان عزيز قائلاً:

- نعم يا ساهر كما سمعت هناك عالم آخر والدلائل عندي كثيرة، وأهمها تميمة ووسيم

حملق ساهر في القبطان عزيز ووالده، واعتدل حمزة في جلسته استعداداً لسماع ما سيقال

ثم استطرد القبطان عزيز حديثه:

- والدة تميمة ووسيم من ذلك العالم الآخر، ومن قبل كنت أنا والشيخ عرفان نعرف والدتها ملكة البحور السبعة، ملكة مملكة النور، جدة وسيم وتميمة

فغر ساهر فاهه وانعقد لسانه، وبلع حمزة ريقه محاولاً استيعاب ما قيل، فنظر القبطان عزيز إليهما بجدية وأكمل قائلاً:

- سأقص عليكما كل شيء، وأروي ظمأ فضولكما

فقال حمزة:

- أتمنى!، حتى أستطيع الاستيعاب

فنظرت تميمة إليه وتمتمت في أعماقها قائلة: "يا تُرى ماذا ستفعل يا حمزة؟، هل ستخاف أم لا؟"

حكى القبطان عزيز لحمزة وساهر كل شيء، عن جدة تميمة ووسيم وعن مملكة النور وهالات الظلام، وعن اختفاء والديّ تميمة ووسيم في البحر وشكهم في أن هالات الظلام هي السبب.

نظر حمزة إلى تميمة والتقت عينيها بعينيه عندما علم بأمر والديها، ثم قال بعد أن التفت إلى القبطان عزيز مرة أخرى:

- أتشوق لمعرفة ذلك العالم يا قبطاني منذ الآن

ابتسم القبطان عزيز قائلاً:

- أعلم، وأنت يا ساهر ما ردك؟
- أنا لا أحتاج هذا السؤال قبطاني، أنا معكم

ابتسم حمزة لساهر، ثم قال موجهاً كلماته للقبطان عزيز والشيخ عرفان:

- أخبرانا ما الذي يجب علينا فعله ونحن معكما فيه

فرد القبطان عزيز وقال:

- سأصطحبكما لتحميان تميمة إن أصابني مكروه خلال الرحلة التي سنقوم بها

عقد حمزة حاجبيه وقال مندفعاً:

- ولماذا نعرض تميمة للخطر من الأساس؟!
- لأن تميمة هي الملكة المستقبلية لمملكة النور، وهي الوحيدة التي ستأتيها المنامات التي تقوم عليها الرحلة، هكذا يتم الأمر

عقدت تميمة ما بين حاجبيها بقلق وخوف، ثم قالت:

- ما الذي قد يصيبك يا جدي؟
- لا تقلقي يا غاليتي تحسباً فقط، أيضاً تحتاج تلك الرحلة إلى شبان وأنا كهل لن أكون قادر على حمايتكِ
- لا تقل هذا يا جدي

ابتسم الجد ثم نظر إلى ساهر وحمزة قائلاً:

- أنا أعتمد على الله ثم عليكما
- لا تقلق يا قبطاني أختي في عيني

- لا تقلق يا قبطاني سأحميها بكل قوتي

استحت تميمة واكتسا وجهها بحمرة الخجل لما قاله حمزة، ثم خرج وسيم عن صمته الطويل وقال:

- أنا أيضاً أريد الذهاب يا جدي لحماية تميمة ومساعدتها
- يكفي تميمة التي سأخاف عليها طوال الرحلة، فلا تجعلني أقلق عليك أنت الآخر، ستكون أنت هنا مع الشيخ عرفان وخالتك رقية
- جدي أنا لست صغير لتقلق عليّ، أنا أيضاً رجل وعليّ حماية أختي

ابتسمت تميمة لكلمات وسيم وقالت:

- أقدر قلقك عليّ يا حبيبي، فقدر قلقي عليك أيضاً، كما أن الأجازة المدرسية على وشك الانتهاء وعليك الاهتمام بدروسك

تأفف وسيم وسكت ولكن في رأسه أشياء أخرى، فكيف له أن يترك المغامرة التي يحلم بها، وأخنه في معمعة من الشرور

انقضى اليوم بكثير من الحكايا عن مملكة النور و ملكاتها وهالات الظلام، كما انقضى أيضاً بكثير من المشاعر المختلفة، مشاعر حمزة التي اتقدت ومشاعر تميمة التي وضحت ومشاعر الألفة التي كانت بينهم، الإثارة التي سكنت صدورهم والتشوق لرؤية ذلك العالم والقيام بتلك المغامرة، كما كان هناك مشاعر الخوف أيضاً.

***

جلست تميمة بغرفتها تكتب مذكراتها كالعادة في آخر اليوم، عادتها التي اكتسبتها بعد وفاة والديها لتهدأ وتُفرغ ما في جعبتها، حتى لا يؤرق نومها أرق، وتتقلص أحزانها قبل أن تتعملق بروحها وقلبها، كانت تفضفض لترتاح، ذلك النوع من الفضفضة الذي لا يشبه فضفضة العرى، وأيضاً لتدون كل لحظة سعيدة، حتى عندما تمرر عليها مرة أخرى تنتابها السعادة

وكانت تكتب ما حدث معها اليوم وهي تبتسم، تكتب ما شعرت به في حضور حمزة، ذلك الشعور الذي لم تشعر به من قبل، وتلك الدقة التي دق بها قلبها والتي لم يُدَق مثلها من قبل، كتبت إنها تشعر بالخجل منه ومما تشعر به ناحيته ولكنها رغم ذلك تمنت ألا يدق قلبها هباءاً وأن يحفظ لها الله قلبها لحلال يرضاه ويروي ظمأها، أن يدخل جوفها الحب لا السراب، ظلت تكتب حتى قطع عليها أفكارها طرق الباب واستئذان جدها بالدخول فقالت لجدها آذنه:

- تفضل يا جدي
- صغيرتي!، هل عطلتك عن شيء ما؟
- لا يا جدي أبداً
- حسناً كنت أود إخبارك إننا سنتواصل غداً مع جدتك وبقية عائلتك، هل أنتِ مستعدة؟

فظهر عليها بودار التوتر قائله:

- أنا متوترة بعض الشيء يا جدي
- لماذا؟
- لقد ظهر لي أهل فجأة ولم أكن أعلم عنهم شيئاً أو عن حياتهم، لم أتحدث معهم من قبل ولا أعرف عن ماذا سأتحدث معهم، والأدهى هنا إنني لم أسأل عنهم من قبل كأي إنسانة طبيعية، كما إنني لا أملك أي ذكريات عنهم أبداً
- هذا لأننا نحجب عنكِ ذكريات طفولتك يا تميمة حتى لا تصل هالات الظلام إليكِ ولا تتعرضين للأذى

نظرت إليه تميمة بذهول، فاستطرد قائلاً:

- نعم! كما سمعتِ، أنتِ تملكين ذكريات كثيرة عن عائلة والدتك، ولكننا أسقيناكِ عقار يتفاعل مع خلايا المخ ليحجب عنك بعض ذكرياتك ويزرع أخرى، ذلك العالم الآخر متطور جداً يا تميمة خاصة في الطب والكمياء، ستذهلين من كم المعرفة التي هناك و

من الحكمة التي أصبحوا يملكونها والفلسفة الحيايتة التي توصلوا إليها

فغرت تميمة فاها وهي تقول:

- شيء مبهر حقاً

ابتسم جدها ثم قال دون حذر أو تلكؤ:

- ما رأيك في حمزة؟

توردت وجنتاها ولمعت عيناها وسارت الرعشة أطرافها بحياء قائله:

- شاب جيد

فابتسم الجد وتمنى في نفسه شيء، ثم أخرج من جيبه قارورة صغيرة ووضعها أمامها وقال:

- هذا العقار سيعكس مفعول العقار الآخر، تجرعيه وتذكري على مهل
- لماذا الآن؟!
- لأن الوقت قد حان، وهالات الظلام عرفت ويحاولون منذ مدة ولكنهم يفشلون، حافظي دائماً على قراءة سورة البقرة وأذكارك ووردك من القرآن وصلاتك، ولن يمسسك أحد بسوء إن شاء الله

ردت تميمة بهدوء وسكون وإيمان كبير يملأن قلبها وقالت:

- حسناً يا جدي، ليعينني الله

***

في ذات نفس الوقت كان حمزة، يصلي ركعتين لله، وناجاه بما يعتمر قلبه داعياً:

- يا الله، خلقتني وأنت أعلم بما في قلبي مني، أحبها وأشتاق إليها، فارحم قلبي إن لم تقبلني، وأعطني الصبر حتى تُصبح حلالي، وإن لم تكن لي فاللهم أعني على إخراجها من قلبي

كان قد انتهى حمزة من صلاته عندما دخل ساهر عليه يقول:

- لماذا استدعيتني يا حمزة؟
- لأطلب منك يد أختك، وسأطلبها في الغد من جدها بعد أن أخذك أنت وشيخي معي

ابتسم ساهر واحتضنه قائلاً:

- مبارك يا صديقي، فأنا لن أجد لأختي أفضل منك أئتمنك عليها
- أتمنى أن أجد من القبول في قلبها لي وتقبل

ابتسم ساهر وقال بثقة:

- لا تقلق يا حمزة، ستقبل بك بإذن الله
- أتمنى!

يوم مرتقب

بعد ليلٍ طويل من الذكريات المكبوتة استيقظت تميمة على قرآن الفجر بحالة جديدة من الوعي وعلى ثغرها ابتسامة عريضة ليوم مرتقب، كما كان لحمزة أيضًا ارتقاب لليوم الجديد الذي سيحقق فيه شيء تمناه قلبه؛ فانتظر طوال الليل ظهور أشعة النهار على أحر من جمر.

جلس وسيم وتميمة إزاء جدهما الذي أمسك القوقعة يوشوشها عدة مرات، حتى ظهر صوت لإمرأة رخيم وعذب، فسرت القشعريرة في جسد تميمة عندما سمعت صوتها، فصوتها يشبه إلى حدٍ ما صوت والدتها، أما وسيم فانتابته موجة من المشاعر التي تحمل حنين كبير إلى والدته التي لا يحمل لها كثير من الذكريات وبادر:

- هذه أنتِ يا جدتي؟

عندما سمعت الملكة نوران صوته لم تتمالك نفسها وتحشرج صوتها حتى بكيت ولم تستطع التحدث؛ فبكى الجميع من حولها، لكن أجابه أركون بحنو قائلاً:

- نعم يا وسيم، إنها جدتك وهي لم تتمالك مشاعرها لسماع صوتك الآن، أما أنا فأكون خالك أركون يا صغيري

ابتسم وسيم وقال وهو يحاول أن يكتم حشرجة صوته:

- خالي؟!، أهلاً يا خالي، اعذرني إن كنت متفاجيء لكن شعور جميل أن يكون لي خال

غشيت عينيّ أركون الدموع وقال بصوته الحنون:

- وأنا أشعر بالسعادة لأنني أسمع صوتك تحادثني أخيراً يا ابن غاليتنا آسين، نشتاق لكما دائماً يا وسيم، ولولا الظروف التي أبعدتنا قِسراً عن بعضنا البعض لكنتما بيننا الآن، لم ننساكما أبداً يا عزيزي

وبعد تلك الكلمات الحانية كان الجميع في حالة نشيج وأنين وبكاء، بكى الجميع من فرط مشاعر الاشتياق ومشاعر الحب ورابطة الدم

ثم بدأت الحديث زوجة خالهم هتان وصديقة والدتهم المقربة:

- وسيم، أعلم إنك لا تتذكرني ولكن تميمة قد تتذكرني الآن، أنا خالتكما هتان صديقة والدتكما قبل أن أكون زوجة خالكما، اشتقت لكما كثيراً يا حبيباي، أتعلم يا وسيم لقد كنت تبتسم لي في كل مرة أحملك فيها، وأنتِ يا تميمة كنتِ تتمسكين بذيل فستاني طوال الوقت

ثم صمتت قليلاً تحاول سد دموعها المنجرفة ثم استطردت:

- لقد اشتقت لوالدتكما كثيراً ولأوقاتنا معاً كما في السابق

فبكى الجميع هذه المرة بحرقة، فرد وسيم والدموع تزحف على خديه رغم أن الابتسامة تزين ثغرة:

- أهلاً بصديقة أمي وجزؤوها الأيسر، حتى وإن لم أتذكركِ فأنا أشعر بأمي في حنان صوتك يا خالتي

ثم صدح صوت أريج الصغيرة يعلو من بينهم فتغيرت حالة البكاء إلى بسمات، وهي تقول:

- أما أنا فأريج الصغيرة، صغيرة العائلة وابنة خالكم، وأود حقاً حقاً اللعب معكما فهلا أتيتما أرجوكما

ضحك الجميع بشدة من طريقتها التلقائية الطفولية، ثم قال لها وسيم من بين ضحكاته:

- أريج الصغيرة، أنا سألعب معكِ حتى نتعب وسأعطيكِ الكثير من الحلوى

فصاحت أريج بسعادة:

- مرحا

فضحك الجميع مرة أخرى متمازحين على ما قالاه، ثم ظهر صوت ميسال واضحاً جلياً وهي تقول:

- وأنا ميسال أخت أريج وتوأم لبيد، لقد كانت أمي تقص عليّ الكثير من أمور طفولتنا ولكني أتمنى أن ألقاكما الآن والتحدث معكما كثيراً، خاصةً أنتِ يا تميمة فأنا متشوقة لنكون صديقتين

ثم قال لبيد:

- أنا لبيد، أعتذر عن صمتي الطويل أو طريقتي الجادة وعدم استطاعتي عن التعبير، لكني أعدكما إنني سأكون حاميكما أدافع عنكما في كل وقت وكل حين، سأكون أخٌ وصديق

فقال وسيم بلهفة أخوية:

- آخٍ، كم كنت أتمنى أخٌ والحمد لله لقد استجاب الله لي، أتوق للسير وتبادل الأحاديث الجدية معك يا أخي، أفضل من أحاديث تميمة الأنثوية المملة

لكزته تميمة في كتفه، فصاح متألمًا، فتغيرت الحالة الجماعية الحزينة لهم بحالة أكثر مرحاً مبتسمين على هواشتهما، ثم أخيرًا تكلمت الملكة نوران وقالت بفرحة غامرة وسعادة بالغة:

- قرتا عيني، اشتقت لكما كثيراً، واشتقت لضمكما أكثر، أحبكما يا عزيزاي، وأريدكما أن تعلما أن ما أبعدني عنكما كبير ولولا خوفي عليكما لكنتما في حضني حتى الآن
- أعلم يا جدتي يا غاليتي، وأتمنى أن أراكِ وتقصي عليّ قصصك وتطعميني بيديكِ كما تفعل باقي الجدات

بعدها خرج صوت تميمة وكأنه خارج من هَوّة بئر لفرط المشاعر التي تجرعتها، وقالت ترد عليهم جميعاً:

- عائلتي الجميلة كل ما تمنيت، تمنيت وجودكم بجانبي كثيراً ليشتد ظهري وتأمن روحي، لكني راضية بما أمر به الله، وتلك اللحظات التي نعمت بها معكم وكلماتكم عوضتني وأبهجت قلبي...جدتي الحبيبة أحبك وأحب صوتك الذي يشبه صوت أمي كثيراً، أحبك وأنا لاأستطيع تبيان ملامحك كاملةً، أحبك وأتشوق للسكينة في حضنك الدافىء.

خالي أركون، والخال والد كما يقولون، روح أمي الجميلة تشبه روحك، أشتاق إليك يا خالي وأتوق لأن تربت على ظهري.

خالتي هتان، أتدرين!..أول ذكرى تذكرتها كانت لكي وأنا أمسك بذيل فستانك وأناديكِ بـ "هات"، أحبك وأتمنى أن ألتقي بكِ قريباً.

أما أنتِ يا أريج يا صغيرة عائلتنا أشتاق لضمك ومداعبتك وقبلة على خدي منكِ.

ميسال، أتصدقين إنني أشعر إنكِ توأمي أنا، وشعرت بقربك مني فجأة ولا أعلم لِما، كما إنني أشعر بشخصيتك القوية التي أستطيع الإتكاء عليها، كم أتوق للتسامر والضحك معكِ يا أختي.

أما أنت يا لبيد فقد أشعرتني بالأمان يا أخي، شكراً لأنك حامينا ومزلل عقابتنا، شكراً لك يا أخي القوي.

أحبكم جميعاً وأتوق لرؤيتكم ولأجل ذلك سأحاول النجاح في إتمام رحلتي على أكمل وجه، سأتحصن باسم الله الواحد الأحد وأتوكل عليه ولن يقدر علىّ أحد، وسأقوم بكل ما أستطيع حتى نصير معكم ونشارككم أوقاتكم.

تحادثوا كثيراً حُباً ورغبة في ائتلام العلاقات التي قطعتها المسافات والغربة قِسراً، وبعد وعود كثيرة من الطرفين انتهى الاتصال.

***

خرج حمزة مع طلوع النهار إلى بيت الشيخ عرفان وهويسحب ساهر خلفه، فقال ساهر متذمراً:

- يا حمزة، أيعقل أن تتقدم لخطبة أختي في الصباح الباكر هكذا، انتظر قليلاً على الأقل لأنام لبعض الوقت

وكزه حمزة في ذراعه مأنباً إياه:

- قريباً يا ساهر ستكون مثلي ولن أرحمك أبداً
- أتمنى والله يا أخي، لكن لماذا لن ترحمني، ألست معك الآن في الصباح الباكر..صباح باكر ماذا!.. لقد أقلقت منامي من بعد صلاة الفجر يا رجل وسحبتني كالبهائم حتى تخبر أبي بطلبك لتميمة
- ...

وقبل أن ينبث حمزة ببنت شفة فتح الشيخ عرفان باب المنزل وعلى وجهه علامات النوم ثم قال بعد رؤيتهما بقلق:

- ما الأمر؟، هل هناك خطب ما؟..هل أنتما بخير؟
- لا تقلق يا أبي، حمزة فقط جُن جنونه بعد أن ذاق حلاوة الحب

الشيخ عرفان بعدم فهم وعينين ناعستين قال:

- أنا لا أفهم شيئاً
- سأخبرك يا أبي...

وقبل أن يكمل وكزه حمزة في ذراعه، خرجت السيدة رقية بلهفة وهي تقول بجزع:

- ما الأمر؟ هل حدث شيء ما؟!

وقبل أن يتكلم ساهر وكزه حمزة مرة أخرى قائلاً باندفاع:

- أريدكما أن تخطبا لي تميمة من القبطان عزيز

نظر الشيخ عرفان والسيدة رقية لبعضهما البعض ثم نظرا لحمزة مبتسمان فرحان، فنظر إليهما حمزة بتمني وقال:

- ماذا ستقول يا شيخي؟

اتسعت ابتسامة الشيخ عرفان وعانقه قائلاً:

- مبارك لك يا ولدي، كنت أظن أنك ستأخذ وقت أكبر لإتخاذ قرارك هذا ولكنني سعيد لأنك خيبت ما توقعت

فنظر حمزة لساهر بوعيد، ثم قال للشيخ عرفان:

- هل كنت تعرف يا شيخي؟

فقال ساهر بسرعة:

- أقسم لك إنني لم أخبره شيئاً

فضحك الشيخ عرفان وقال:

- لم يخبرني أحد بشيء يا بُني، افتضحتك نظراتك العاشقة الخجولة ناحية تميمة البارحة

ابتسم حمزة قائلاً:

- هل سيوافق جدها؟!
- سوف تتفاجأ برده

نظر له حمزة بقلق، فقالت له السيد رقية بلهفة والإبتسامة جلية على شفتيها:

- لا تقلق يا بُني سيوافق، فاستعد من الآن

ثم أخرجت هاتف الشيخ عرفان واستطردت:

- عرفان، اتصل به الآن
- في هذا الوقت!؟
- نعم، الآن، دعني أفرح وأقوم بالتجهيزات

فضحك الشيخ عرفان وقال:

- أراكِ متعجلة أكثر منه
- جداً جداً يا عرفان

ثم نظرت لساهر وتمنت بفرحة:

- العقبى لك يا صغيري

فحك ساهر رأسه مبتسما ومردداً:

- اللهم آمين يا والدتي العزيزة

أمسك الشيخ عرفان هاتفه واتصل بصديقه، ليرد القبطان عزيز عليه سائلاً:

- أهلاً يا عرفان، ما الأمر؟

ضحك الشيخ عرفان ولم يرد، فعكص القبطان عزيز ما بين حاجبيه مبتسماً وقال متسائلاً بدهشة:

- ما خطبك يا عرفان؟!...وما الذي يضحكك؟!

فنظر كلاً من وسيم وتميمة إلى جدهما في تساؤل، فأشار لهما بأن لا يقلقا، ثم ظهر صوت الشيخ عرفان أخيراً بعد وصلة طويلة من الضحكات قائلاً:

- هناك خبر سعيد يا صديقي، خبر دق على بابي في الصباح الباكر
- ما هذا الخبر، أسعدني أنا الآخر؟
- لقد جاء حمزة لي راغباً في طلب تميمة للزواج منك

ابتسم القبطان عزيز حتى بانت نواجزه ثم قال:

- لم يأخذ وقتاً كبيراً كما توقعنا
- آه لو تراه وهو أمام بابي، ساحباً ساهر خلفه
- سنرى، قل له إنني موافق ولكن عليه أن ينتظر موافقة تميمة
- حسناً يا صديقي ولكن لا تتأخر، فرقية متعجلة أكثر من حمزة نفسه

ضحك القبطان عزيز:

- بالتأكيد أليست هذه أمنيتها التي على وشك التحقق

انهى كلاً منهما الاتصال، فنظر حمزة إلى الشيخ عرفان بلهفة وسأله:

- ماذا قال؟
- سيسألها أولاً
- أتمنى أن توافق

ردت عليه السيدة رقية مبتسمة:

- لا تقلق، ستوافق بإذن الله

ابتسم حمزة داعياً متمنياً:

- يا رب

***

جلس القبطان عزيز أمام حفيديه مبتسماً ومتمعناً في تميمة؛ فسألته تميمة:

- ماذا هناك يا جدي؟
- لا تقلقي يا عزيزتي ليس هناك شيء سيئ، أعتقد إنه سيكون هناك خبرٌ جيد عن قريب

فقال وسيم:

- أخبرنا ماهو يا جدي؟
- ليس الآن يا وسيم بعد قليل سأخبرك به

صمتوا قليلاً ثم استطرد القبطان عزيز:

- ما رأيكما بحمزة؟

دق قلب تميمة وتفاجأت من سؤال جدها للمرة الثانية، لكن وسيم أجاب مبتسماً:

- شاب جيد وخلوق، وأيضاً قوي وذكي

فابتسم القبطان عزيز وقال مؤكداً:

- فعلاً كما قلت يا وسيم، أنا أيضاً معجب بشخصيته وعزز إعجابي به رأي عرفان وما قصه عنه

ثم نظر إلى تميمة وقال لها بتمعن:

- وأنتِ يا عزيزتي، ما رأيك به؟

توردت وجنتيها لا إرادياً، ثم قالت:

- شاب جيد

قالت جملتها ثم قامت مستئذنه بالذهاب إلى غرفتها، فابتسم القبطان عزيز وقال موقفاً إياها:

- انتظري قليلاً يا تميمة، أريد أن أسألكِ سؤالاً

ثم نظر إلى وسيم قائلاً له:

- أتسمح أن تتركنا قليلاً يا وسيم

فأدرك وسيم وابتسم قائلاً:

- حسناً يا جدي

تركهم وسيم، وجلست تميمة أمام جدها بوجه متخضب بالحمرة، فقال لها موضحاً وسائلاً:

- لقد تقدم حمزة لخطبتكِ، هل أنتِ موافقة؟

فغرت فاهها متفاجأة ولم تنطق بأي كلمة، فأردف جدها:

- أعلم أن الأمر غريب، لقد رأيتيه منذ يومين وها هو يطلب الزواج، لكن هكذا الأمر يأتي بسرعة وفي أي وقت، ويبدو أن حمزة رجل بمعنى الكلمة وأتى يقرع باب البيت يطلب الإذن أمام كل أهل البيت

فظهر أثر ابتسامة على ثغرها، فقال لها مرة أخرى:

- أريدك أن تأخذي وقتك بالتفكير، استخيري الله، وراقبي قلبك، فإذا وافقتي أو لم توافقي فعلى بركة الله وكل شيء قسمة ونصيب، ولكن دعيني أسألك أمراً...
- اسأل يا جدي
- هل تجدين فيه قبولاً؟

خجلت تميمة ونظرت للأرض، فابتسم قائلاً:

- إذاً على بركة الله، كم تحتاجين من الوقت لتقرري
- سوف أصلي صلاة الإستخارة اليوم، وسأخبرك بالغد عما في نفسي
- حسناً يا عزيزتي سأبلغهم برأيك

قام القبطان عزيز بالإتصال بالشيخ عرفان قبيل آذان الظهر وأخبره برأيه، فابتسم الشيخ عرفان وأقفل معه، لينظر إلى حمزة الواقف أمامه متلهفاً، ليقول له:

- إنها موافقة مبدأياً ولكنها تريد الإستخارة أولاً، وسيبلغونا بالغد في مثل هذا الوقت إن شاء الله

ارتاح حمزة وتنفس بشغف منتظرًا للغد، مردداً:

- إن شاء الله

يوم مرتقب آخر

شرد حمزة في زرقة البحر وتلاطم أمواجه، فكلما شعر بالتوتر أو الثقل ذهب إلى البحر وتابعه ليشعر بالخفة والسلام وتنتهى زوبعات الأفكار والذكريات المؤلمة، واليوم يشعر بالتوتر رغم شعوره بالخفة في قلبه وكأنه أصبح فراشة محبوسة داخل جسده بمجرد التفكير في موافقة تميمة عليه، أمسك بالخاتم المعلق على صدره ونظر إليه نظرة طويلة بها تمنيّ، ثم أمسك هاتفه ونظر في جهات اتصاله بضعف وحزن على أرقام أولاد عمومته حتى قاطعه رنين هاتفه، فرد عليها مبتسماً:

- مهاتفتك لي في الوقت المناسب دائماً تحيرني يا خالتي
- لقد شعرت بك يا ولدي، والآن تعال ولا تقف وحيداً، دعنا نتجهز للغد
- حسناً سآتي في الحال

أغلق هاتفه ثم رفع وجه للسماء وقال:

- الحمد لله على لطفك ورحمتك يارب

يجوب الشكر على النعم في كل مرة نستشعر النعمة فيها، ففي الإعراض جحود وزوال... وحمزة يشكر كلما استشعر زوال الوحدة وأصحاب السمر، فالوحدة سم ودنيا دون خلٍ وفي، كجسد بلا ظل لا ينفع

دخل حمزة على الشيخ عرفان وساهر الشرفة الخارجية مُلقياً التحية:

- السلام عليكم، أين خالتي رقية لقد هاتفتني و...

قاطع كلماته دخولها قائلة:

- كنت أريدك لتختار بين الحلات التي جهزتها لك، وأيضاً لأسألك عن محابس الخطبة، وأيضاً عليك أن تشتري علبة شوكلاه و...

فقطع كلماتها ضحكات الشيخ عرفان وساهر بشدة على حمزة الواقف أمامها وهو يحك رأسه بحيرة من كل طلباتها، ثم قال الشيخ عرفان لها:

- تريثي قليلاً يا عزيزتي؛ لقد أفزعتيه
- أنا متحسمة وأنتم لا تساعدونني أبداً

فابتسم لها حمزة بحنو وقال:

- لا حرمني الله منكِ أبداً يا خالتي، تعوضنيني كثيراً عن مشاعر الأمومة التي حُرمت منها

لانت ملاحمها ونظرت له بحنو:

- أنت ولديّ يا حمزة حتى ولو لم أنجبك وحتى ولو لم أقوم بتربيتك بنفسي، أنت ولديّ بالروح والقلب يا بُني، لا أعلم كيف، ولكن قد يكون بسبب رغبتي في العديد من الأولاد، ولكن أكثر ما أشعر به هو إنني أشعر في قلبي إنني أمك، هذا الشعور رحمة من الله لنا ولقلوبنا يا بُني

فجأة تعالى رنين هاتف الشيخ عرفان فالتفت إلى مصدر صوته الجميع، فأجاب الشيخ عرفان، لينفرج ثغره عن ابتسامة عريضة أنارت وجه حمزة وشرحت صدره، وسُر الجميع على إثرها، ثم انهى الشيخ عرفان الاتصال قائلاً:

- حسناً يا صديقي سنأتي بعد صلاة العشاء، ليتمم الله لهما على خير

وفور إغلاق الشيخ عرفان هاتفه زغردت السيدة رقية، واحتضن ساهر حمزة يهنئه، وتعالت الفرحة بينهم حتى وصلت لعنان السماء، وابتهج قلب حمزة وداعبت الفرحة روحه باقتراب الوليف والتحام الجزء بالبعض فلا ينتقص الكل ولا يتششت البعض...ثم صاحت السيدة رقية فجأة:

- لم يعد لدينا وقت، هيا لنتجهز وننهى ما ورائنا هنا حتى أذهب لتميمة أيضاً وأرى ما ينقصها

فقال الثلاثة في نفس الوقت بفزع:

- حسناً، حسناً، سنقوم بكل ما تقولينه

فوزعت عليهم مهامهم، لينتهوا في أسرع وقت.

بعد صلاة العشاء وقف حمزة بين الشيخ عرفان وساهر بحلته الأنيقة وعطره الفواح وباقة ورد التوليب الأزرق بين يديه وثغره المشرق بإبتسامة لطيفة، ففتح لهم وسيم الباب بإبتسامة أخرى واسعة وقال:

- أهلاً وسهلا بالعريس

فابتسموا وقبل أن يخطوا خطوة إلى الداخل، أوقفهم وسيم مازحًا وقال:

- مهلاً!، أين علبة الشوكلاة؟

ضحكوا، ثم ناوله ساهر علبة الشوكلاة وهو يهمس له محذرًا:

- لا تأكلها وحدك، واترك لي بعضاً منها

دخلوا وجلسوا في بهو المنزل، في الحين الذي كانت فيه تميمة تقف مع السيدة رقية في غرفتها تتجهز وعندما علمت بقدوم حمزة توترت، فنظرت لها السيدة رقية بتفهم وقالت:

- لا تتوتري يا ابنتي، لا بأس إن خجلتي لكن عليكِ أن تتماسكي وتسألي كل الأسئلة التي ستجعلك متطمئنة وسعيدة معه فهذا زواج ويجب أن يكون مبني على وضوح وشفافية، أيضاً عليكِ أن تكونِ حذرة بعد الخطبة بأن تخضعي بالقول له، ضعي حدود تحميكِ من الزلات ووساوس الشيطان، راعي الله في تصرفاتك حباً في الله وخوفاً من أن لا يرضى عنك، ثم لأجل قلبك ونفسك وكرامتك وكرامة عائلتك يا حبيبتي، فالحب الآثم سقم يقتل كل ما يغذي الروح وما يغذي الروح يا حبيبتي الطُهر

فابتسمت واحتضنتها قائلة:

- لا حرمني الله منكِ يا خالتي
- ولا منك يا غاليتي والآن هيا لنخرج

خرجتا واتجهتا إلى بهو المنزل حاملتين صنيتي الشاي والحلويات، عندما ظهرت تميمة لحمزة بفستانها الزهري الفضفاض وحجابها الأبيض الطويل اختلج قلبه ولمعت عيناه ببهاءها الخلاب، فوقف لها وبعد أن وضعت ما

بيديها قدم لها باقة ورد التوليب، توردت وجنتاها وقالت بحياء وانبهار على جمال باقة الورد:

- شكراً

جلس الجميع يتحدثون بألفة وفرحة، وقبل أن ينظر الشيخ عرفان للقبطان عزيز بإيماءه ليقوموا ويتركوهما بمفردهما قليلاً، اقترب من أذن حمزة وقال له:

- سنترككما بمفردكما بعد قليل، وقبل أن أخرج أريد أن أقول لك نصيحة قد تعرفها لأني أعرفك جيداً، رجل وخلوق ولكن أقولها لك لتثبت قلبك كلما اقتربت من تميمة وتحدثت معها فقد تضعف بحبك لها ويغويك الشيطان، ضع دائماً إرضاء الله وحبه في قلبك فكل مرة ترى تميمة نصب عينيك وأعلم أن ما أردته وأخذته في الحرام ستُعاقب بحرمانه فيما بعد ويتغير قلبك ولا يروي ظمأه أي ارتواء.

ابتسم حمزة وبحب قال:

- لا حرمني الله منك، لا تقلق يا شيخي نصيحتك في قلبي قبل أن تكون في عقلي

ابتسم له الشيخ عرفان وربت على كتفه، ثم نظر للقبطان عزيز ليقوما ويقوم من بعدهم البقية

جلس أمامها ونظر إليها بحب وهي تنظر إلى الأرض بخجل، ثم نطق اسمها صراحةً فندم، فنُطق اسمها صراحةً له جعلت مشاعره تتدفق كسيول حارة في أوردته، مشاعر يلزم أن يلجمها الآن:

- تميمة!

شعرت تميمة بالطبول تدق في قلبها عندما سمعت اسمها منه، ثم نظرت إليه بعيناها الزرقوتان وقد اصطبغ لون وجهها بالأحمر، فاتسعت ابتسامته حتى بانت نواجزه، فابتسمت هي الأخرى دون أن تشعر وكأن ابتسامته عدوى، فقال لها:

- في أي تخصص تخصصتي بالطب؟
- طب الأطفال

ابتسم حمزة وقال:

- توقعت هذا، ففي أول مرة شاهدتك فيها مع الأطفال شعرت بمدى حبك لهم
- أحبهم كثيراً، يكفي إنني أشعر معهم بالسلام في عالمهم الملىء بالبراءة
- هل تحب الأطفال أيضاً؟
- كثيراً يا تميمة، فكما قلتي السلام يأتي بصحبتهم، وأنا أحب مصاحبتهم، خصيصاً مصاحبة حسن

ابتسمت تميمة وقالت:

- حسن طفل مميز
- أعلم هذا، وسأخبرك يوماً إن شاء الله عن طلب قد طلبه مني
- ما هو هذا الطلب؟

ابتسم حمزة بخبث وقال:

- في الحقيقة أتلهف لأخبرك به ولكن دعيني أخبرك به يوماً آخر

تسائلت قليلاً لكنها وافقت، ثم تنحنحت تسأله:

- كيف هي الصلاة عندك؟
- هي صلتي بربي ووجهتي للجنة ووجهتي في الدنيا فبها تستقيم حياتي

ابتسمت تميمة براحة، فأكمل حمزة وقال:

- ولأطمئنك أكثر، لم أشرب يوماً خمراً ولا حتى سيجار، ولم أتخذ خدن من قبل، فليست من الرجولة تعليق قلوب الفتيات أو تحطيمهم، وقبل أي شيء حبي لله وإدراكي للحكمة في كل ما حرمه الله

فابتسمت تميمة بفرحة له، ولها على ما نالت، ثم قالت له:

- ألا تريد أن تسألني شيئاً؟
- أسئلتك، وحجابك، ولقائي بكِ من قبل أخبراني بكل شيء يا تميمة، أنتِ غايتي

أشاحت وجهها بخجل عنه، ثم قالت بسرعة لترد عنها الخجل:

- لقد تحدثنا أنا وأخي مع عائلة أمي البارحة

ابتسم حمزة لحماستها، ثم عكص حاجبيه مستغرباً وقال:

- لكن كيف؟!

ابتسمت بحماس وقالت:

- سأريك كيف، انتظر

قامت تميمة من مجلسها وخرجت لينظر لها الجميع وعلى وجوههم علامات التعجب، لكن إبتسامتها الواسعة أراحتهم، ثم عادت مرة أخرى وهي تحمل القوقعة فابتسموا.

دخلت عليه، فنظر إلى القوقعة التي بين يديها وقال:

- لا!، لا تقولي أن القوقعه كانت وسيلة الاتصال
- بلى، هي

استغرب حمزة:

- كيف؟!
- عليك فقط أن توشوشها بمن تريد الاتصال به لو معه مثل تلك القوقعة، وأيضاً لانتشارها في قيعان المحيطات تستطيع أن توشوشها بسماع أسراب الحيتان أو الدلافين
- سبحان من خلق وصور، لقد رأيت منها الكثير في بعض مرات غوصي، ولفتت نظري واحدة زرقاء لامعة لكنني لم أظن أبداً أن تكون وسيلة اتصال...هل هناك أشياء غريبة أخرى؟!

- نعم هناك، انتظر سأحضرها لك

خرجت تميمة مرة أخرى، ثم عادت وهي تحمل صندوق اللؤلؤة، وأعطته لحمزة ليفتحه، وقصت له كل حكاية عن كل محتوى من محتويات هذا الصندوق

كانت الحماسة وروح المغامرة تدب في أوصاله، ثم فجأه شعر بالقلق فقال لها:

- مع كل هذه الإثارة، وواقع إنكِ أميرة على وشك التتويج كملكة للبحور السبعة؛ هل ستتركيني يوماً ما؟
- أينما ستكون سأكون معك، وأينما حللت سأكون بجوارك

رفع لها حمزة عينيه بنظرات تملؤهما السعادة والفرحة والإمتنان:

- وأينما أردتِ أن تكونِ سأكون معكِ

فأشاحت بوجهها عنه خجلاً، وصمت هو حتى لا يزيد، حتى دخل عليهم وسيم قائلاً:

- لقد جهز طعام العشاء

فخرجا معه، وقبل أن يجلس الجميع لتناول الطعام، قال حمزة:

- أعذروني قبل أن نتناول الطعام أود أن أهدي تميمة هدية خطبتنا

ابتسموا موافقين مرحبين، فأخرج من جيبه علبة من القطيفة الخضراء وفتحها، ليظهر خاتم والدته الذي أهداه إليها والده، وقال مستطرداً:

- هذا خاتم والدتي يا تميمة، أود لو تقبليه، أما المحبس سأقدمه لكِ مع هديتك مني....وأود من خالتي رقية أن تلبسكِ إياه

ابتسمت السيدة رقية وأمسكت بالخاتم وألبسته لتميمة التي كادت من فرط السعادة تطير أو تنفرط كعقد حبات اللؤلؤ

بارك لهما الجميع في سعادة وحبور، وجلسوا يتناولون الطعام في ألفة وسرور.

نمرد

لقد هربت امرأة من قبيلة آمشار يا سيدة الظلام: "قالها أحد حراس نمرد بقلق وتوجس"

أدارات هالات الظلام ظهرها لتواجه الحارس بوجهها البغيض وبصوت أشد بغض وغلظة صرخت:

- كيف يهرب من صرحي شخص؟، كيف لتلك المرأة النكرة أن تكسر حاجز الخوف مني...متى هربت تلك النكرة؟

رد الحارس والخوف يتملكه من سخطها:

- أعتقد منذ أسبوعان يا سيدة الظلام
- تعتقد أنه منذ أسبوعان!، ألهذا الحد أنتم ضعفاء وأغبياء...

ثم فجأة انتفخت أوداجها واكفهر وجهها فأصبح كالجحيم، فركع الحارس أمامها متضرعاً من شدة الخوف طالباً منها السماح، لتنظر إليه وهي تطبق على ذقنه بأصابعها الطويلة المريبة قائله:

- لا تخف سيكون الأمر سريعاً

ثم سقط جسد الحارس على الأرض ميتاً

نادت بعلو صوتها ليأتي حارس آخر، وما إن حضر حتى أمرته بأن يحضر لها ابن عزيز وزوجته بنت نوران مكبلين ومحمولين كالذبائح على عصا

لبى الحارس ودخل الزنزانة التي يوجد بها السيد حسام وزوجته، وكبله رغم مقاومته الشديدة لحماية زوجته قبل حماية نفسه من بطش عنفهم وشكيمة أجسادهم، لكن خارت قواه بعد أن علقوه على عمود خشبي كالذبيحة وكذلك زوجته بنفس الطريقة، ذُبح قلبه بعد رؤية زوجته تُهان

أمام عينيه ولا يستطيع حمايتها وأن يهان كذلك أمامها، فامتلىء وجهه بالوهن والوجع، فنظرت إليه زوجته بحنو وهمست له:

- إن كانت سطوة الأعداء قاسية وحقيرة ولا تناسب أفعال الرجال؛ فهذا لأنهم ضعفاء

فأومأ لها متنهداً محاولاً التماسك...أخذهما الحارس بتلك الطريقة المهينة حتى أصبحا أمام هالات الظلام التي دوت ضحكاتها المستهزئة بعد رؤيتهما بتلك الطريقة، فارتجفت السيدة آسين فزعة، وعلى إثر فزعها نظر إليها السيد حسام مشجعاً ليبدد خوفها، ونظرت إليه هالات الظلام نظرة قاتمة حالكة السواد واقتربت منه قائلة بفحيح غاضب:

- ألست مخيفة كفاية لأجعلك تخاف؟!

نظر إليها باستهزاء وقال لها:

- مم أخاف؟!؛ من شيء خلقه الله، أنتِ من خلْق الله كما أنا من خلقه، فلِما أخاف منكِ!

اشتعلت عيناها ناراً من الغضب إثر كلماته، فغرزت أظافرها في صدر السيد حسام وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة وسط صرخات السيدة آسين بآيات من القرآن واستنجداها بالله، فتوقفت هالات الظلام وهي تنظر للسيدة آسين بكره وغل، صارخة:

- أود قتلكما، ولكن ليس الآن فأنتما ورقتي الرابحة...وأما آرسيل سأمسك بها وأقتلها والتهم أحشائها قبل أن تصل، وحتى لو وصلت سأقتل من سيأتون للمساعدة

ثم أمرت الحارس بأخذهما إلى الزنزانة، ووقفت تنظر إلى ما حولها وهي تفكر، ثم استدعت كاعد ليظهر لها من العدم قائلاً:

- أمرك يا سيدة الظلام
- أريدك أن تحضر لي تلك الفتاة حفيدة نوران بأي ثمن وعزيزأيضاً، إن لم يكن بالسحر فبيديك...اختطفهما.

دفع الحارس السيد حسام وزوجته بوحشية داخل الزنزانة؛ فتآوه السيد حسام، وقامت السيدة آرسين بسرعة لتساعده على النهوض وتداوي جرحه، فتحت أزرار قميصه الملىء بالدم؛ ففزعت من الجرح الغائر الذي بصدره، ثم أخذت تبكي بحرقة ولا تدري ماذا تفعل، فهدأها زوجها وقال:

- تماسكي يا حبيبتي ولا تقلقي، بإذن الله ستأتي المساعدة عن قريب
- آمل ذلك...

***

بعد شهر من المعافرة والإختباء حيناً والمواصلة حيناً وصلت السيد آرسيل إلى الجهة الأخرى من البحر، ونالت بغيتها بالوقوف أمام قصر الملكة نوران وهي تتمتم بالحمد على الوصول والإفلات من أتباع هالات الظلام ووصولها بأمان.

دخل حارس من حراس القصرقائلاً:

- هناك سيدة رثة الملابس تقول إنها هاربة من هالات الظلام، وتريد أن تقابل الملكة نوران وعائلتها لأمر هام جداً

وقفت ميسال بانتباه عندما سمعت كلماته وقالت:

- أين هي؟
- مازالت بالخارج لم نُدخِلها بعد

ظل لبيد وأشهب على حالهما مندهشان، يفكران إن كان هذا فخاً أم لا، حتى أخرجهما من سباتهما خروج ميسال لترى ما الأمر، فنادها الاثنان في صوت واحد وبسرعة:

- ميسال!

فتوقفت ميسال ونظرت لهما قائله:

- ماذا؟!

قال لبيد:

- قد يكون فخاً يا ميسال، فانتظري أنتِ وكوني بالخلف أرجوكِ

ثم نظر إليها أشهب وقال موافقاً على كلام لبيد:

- أظن أن أخاكي على حق، أرجوكِ كوني خلفنا حتى لا يطالك أذى

تأففت ميسال موافقة على مضض:

- حسناً!

تقدم أمامها لبيد وأشهب عندما فُتح الباب؛ فابتسمت فعلى من الرغم من إنها أحياناً تتضايق من تلك الحماية المفرطة إلا أنها تشعر بالسعادة، فعندما يحميك أقرب الناس إليك يعني أن تكون أقوى إنسان في العالم وهذا بالفعل ما يجعلها قوية.

ظهرت السيدة آرسيل من خلف الباب بحالتها المزرية من هول الطريق الذي سلكته، مرتعشة اليدين، وجهها عليه علامات الهلع والفزع، وما إن رأتهم حتى هرولت إليهم مسرعة، فتأهب الحراس وأشهروا أسلحتهم اتجاهها، ففزعت السيدة آرسيل قائله:

- لقد جئت على طلب السيد حسام وزوجته السيدة آسين ابنة الملكة نوران

فضربت المفاجأة قسمات وجوههم ونظروا إلى بعضهم البعض، وخرجت ميسال من خلفهم مندفعة فأمسك بها لبيد، ووقف أشهب أمامها قائلاً:

- لا تتهوري
- حسناً، ولكن دعني أقترب قليلاً

تنهد أشهب بيأسٍ منها وسمح لها بالإقتراب قليلاً، اقتربت ميسال من السيدة آرسيل وقالت:

- إن كان قلبي يقول لي إنكِ صادقة مازال يجب عليكِ أن تثبتي له وللجميع ذلك
- معي ما يثبت

ثم أخرجت السيدة آرسيل من بين ملابسها قطعة قماش ملفوفة وأخذت تفضها أمامهم وهم ينظرون بشغف، حتى ظهر العِقد وقالت:

- هذا عِقد السيدة آسين

اقتربت ميسال أكثر وهي تنظر للعِقد، فجذبها لبيد، ونهرها أشهب:

- قلت لكِ لا تقتربي يا ميسال!

ثم نظر إلى السيدة آرسيل وقال:

- أعذريني سيدتي ولكن هذا ليس دليل كافٍ لنصدقك، فقد تكوني سرقتيه، أو أعطته لكِ هالات الظلام لتخدعينا به بعد أن سلبته من السيدة آسين
- أعذرك يا بُني ولكني أملك دليلاً آخر

فقالت ميسال بلهفة:

- ما هو؟!
- عندما أعطت الملكة نوران هذا العِقد إلى السيدة آسين قالت لها بعض الكلمات وقد أخبرتني إياها لتكون حجة قوية
- أخبرينا بماذا أخبرتها، لنوصل ما قلتيه للملكة نوران
- الملكة نوران قالت لها "هذا العِقد هو عِقد النور ولكن إن لم يكن قلبك مضيئاً فليس له قيمة، فمنبع النور هو القلب يا عزيزتي، فإذا حاوطك الظلام وحده قلبك القادر على هدايتك"

أرسل لبيد الحارس للملكة نوران ليخبرها بما حدث وبما قالته السيدة آرسيل....وما هي إلا دقائق معدودة حتى أتى الحارس وقال:

- لقد أعطتها الملكة نوران الإذن بالدخول في الحال

اقتربت ميسال هذه المرة من السيدة آرسيل دون أن يمنعها أحد، وأمسكت بيديها برفق وقالت:

- أهلاً بكِ في مملكة النور

كانت الملكة نوران تجلس على مقعدها الذهبي مشتاقة ومتلهفة لسماع هذه السيدة وبجانبها الجميع لا يُفتر لهم حماس، حتى ظهرت لهم؛ فوقفت الملكة نوران مرحبة ومتلهفة:

- أهلاً بكِ في قصر مملكة النور...كيف حال ابنتي وأين تعرفتي عليها...اعذري عدم لباقتي فأنا مشتاقة لابنتي

ابتسمت السيدة آرسيل لهيبة وهدوء وجمال الملكة نوران وقالت:

- لا بأس يا سيدتي، فأنا أشعر بكِ...تعلمين! صوتك يشبه صوتها وتشبهك إلى حدٍ ما

ابتسمت الملكة نوران بشوق، ثم استطردت السيدة آرسيل:

- لقد جئت لطلب النجدة لهما فهما سجينان في صرح نمرد

شهق الجميع، واعترى الملكة نوران الألم وكادت أن تقع لولا أركون الذي أمسك بها وأسندها بيديه، فتماسكت لأجلهم ولأجل ابنتها، ولأجل صالح المملكة، ثم قالت:

- شكراً لكِ يا سيدة آرسيل، أنتِ في حماية المملكة؛ فلا تخافي

ثم اقتربت منها واحتضنتها واستطردت:

- تعالي معي لأريكِ غرفتك لترتاحي قليلاً

ذهبت السيدة آرسيل معها ثم توقفا أمام غرفة بابها كبير عاجي، مزخرف بنقوش رقيقة لحديقة واسعة، ثم دلفا للداخل لتتفاجأ السيدة آرسيل بجمال الغرفة المطلية باللون الأزرق الفاتح المرسوم عليها أشجار الكرز الوردية، بها نافذتان على نفس الجدار تفصلهما مساحة كبيرة وعليهما ستائر بيضاء حريرية رقيقة، وتخت معدني مذهب، ومقعدين وثيرين مذهبين، وخزانة مليئة بملابس كثيرة وراقية، كما كانت ملحقة بدورة مياه خاصة بها...فقالت السيدة آرسيل بامتنان والإبتسامة والراحة يغزوان وجهها:

- شكراً لكِ يا سيدتي
- الشكر لله يا سيدة آرسيل..أنا التي يجب عليها شكرك لأنك حاولتي مساعدة ابنتي وزوجها وعرضتِ نفسك للخطر...والآن سأتركلكِ وأرسل لكِ بعض الطعام لترتاحي من عبء وتعب السفر.

خرجت الملكة نوران من غرفة السيدة آرسيل واتجهت إلى القاعة لتتشاور مع أركون فيما يجب عليهم فعله في إنقاذ آسين، في نفس الوقت خرج أيضًا كلاً من أشهب ولبيد من اجتماعهما مع السيد أركون، وفور خروجهما وقفت ميسال أمامهما وقالت بجدية وعناد:

- سآتي معكما أينما ستذهبان الآن

فقال لبيد محاولاً إخفاء ما في جعبته:

- من قال إننا سنذهب إلى أي مكان؟

ثم نظر إلى أشهب غامزاً له ليؤكد ما قال، فقال أشهب بسرعة عاكصاً ما بين حاجبيه:

- صحيح! إلى أين سنذهب؟

نظرت لهما ميسال بحدة وهي تعقد يديها على صدرها قائله:

- يا إما أذهب معكما يا إما أذهب وحدي

فتنهد كلا من أشهب ولبيد وقالا في صوت واحد:

- أرجوكِ لا تعاندي نحن لا نريد أن نعرضكِ للخطر، فهالات الظلام قد ترسل وحوشاً عَتِيدة، وسيقومون بالكثير من الشغب

نظرت لهما ميسال وابتسمت قائلة:

- هل أنتما توأمان؟!..أنتما تقولان نفس الجمل تقريباً وفي نفس الوقت

ابتسم الاثنان ونظرا إلى بعضهما البعض بحب أخوي وقبل أن ينطقا قاطعتهما قائلة:

- يكفي هذا، علينا الآن أن نتجهز للخروج، سأنتظركما بالخارج

هزا رأسيهما باستسلام، ثم قال أشهب للبيد وعلى ثغره إبتسامة خفيفة:

- عنيدة!

زفر لبيد مؤكداً:

- جداً، ولولا خوفي من أن تنفذ ما في رأسها وتذهب وحدها، كنت سأخدعها ونتركها ونذهب من الخلف

تنهد أشهب بخوف:

- أعلم

تجهز الفارسان بأسلحتهما وأخذا عشرة من الفرسان، ظناً منهما أن هالات الظلام لن ترسل الكثير من وحوشها وأتباعها فهي لن تشن حرباً الآن، خرج الاثنان ليجدا ميسال وقد تجهزت هي الأخرى، فاقتربا منها وبدأ أشهب حديثه قائلاً:

- سنأخذك معنا ولكن لن تتصرفي من تلقاء نفسك، أحدنا سيكون بجوارِكِ طوال الوقت

فتنهدت ميسال وقالت:

- حسناً

بداية

بين أناسٌ يتراقصون على أنغام قبائلية مرتفعة بوجوه مشوشة لا تستطيع تميمة رؤيتها بوضوح، ظهر صوت يقول: "في بيت سيءٍ هناك جوهرة وفي قبيلة أسوء ستكون المقبرة، أنقذيها، أنقذي الجوهرة"، وكلما اقتربت تميمة من مصدر الصوت كلما ازداد انبعاث الضوء حتى تلاشى كل ما حولها واستيقظت بفزع، تُردد ما كان يقال لها دون وعي، هدأ صدرها الذي يعلو يهبط بعد أن استرجعت وعيها، ثم قالت بصوت مبحوح: "لقد بدأت الرحلة"

قامت من فراشها مسرعة لغرفة جدها وغرفة وسيم، طرقت البابان ونادت عليهما بحماس، فخرج كلاً منهما وعلى وجههما آثار النعاس والدهشة مما تفعله تميمة، ثم قال وسيم وهو يتثاءب:

- ما الأمر يا تميمة، هل المنزل ينهار؟!

قالت تميمة بحماس ولهفة:

- إنها بداية الرحلة...لقد جاءني المنام

حملق الاثنان بها ثم قالا بصوت واحد:

- قصي علينا ما حدث في منامك

قصت عليهما تميمة كل شيء، فقام الجد من مجلسه وقال:

- علينا الآن الاستعداد لبدء الرحلة، سأتصل الآن بالجميع

فقالت تميمة بحيرة:

- ولكن إلى أي وجهه سنقصد ونحن لا نعلم عن المكان الذي يقصده الصوت في المنام
- الأغاني القبائلية التي سمعتيها في المنام تتذكرين منها شيئاً؟
- نعم، أتذكر

- حسناً سأسمعكِ بعض الأغاني لأحدد نوع القبيلة

أحضر الجد هاتفه ثم قام بتشغيل بعض الأغاني عن طريق الإنترنت، حتى قالت تميمة في الأغنية الرابعة:

- هذه الأغنية اللحن فيها يشبه نوعية الأغاني التي سمعتها في منامي

نظر إليها الجد مفكراً ثم قال:

- لنتأكد أكثر، أخبريني كيف كانت ملابسهم، وكيف كانت أشكالهم؟

قالت وهي تحاول التذكر:

- لا أعلم يا جدي...لقد كانت وجوههم مشوشة

فقال لها الجد مشجعاً:

- حاولي يا عزيزتي لطالما كانت ذاكرتك قوية..حاولي!

أغمضت عينيها تحاول التذكر والتركيز، ثم صاحت تقول:

- أعتقد أن ملابسهم مبهرجة، بها الكثير من الألوان المتداخلة، بأرجلهم حلقات فضية كالخلاخيل، تحتل الوشوم أجسادهم خاصة الرجال، لكن جميهم يملكون وشماً متشابهاً على ظهور أيديهم وشماً أعتقد إنه لقمر وتتناثر حوله النجوم وكلمات متفرقة لا أفهمها

تنفس الجد بعمق وقال بثقة:

- إنها قبيلة "مانتي"، التي تسكن إحدى جزر المحيط، حياتهم مليئة بالصخب والرقص والأكل، الجزيرة معروفة بأن بيوتها للدعارة وغيرها من الأمور السيئة

فقالت:

- كيف يعيشون هكذا؟...تلك الحياة لا تختلف عن حياة الحيوان، حياة الحيوان التي فُطر عليها لا تعيبه فهذه هي الفطرة التي تجعله يستمر بالشكل الصحيح له، أما حياة الإنسان لم تُفطر على هذا المنوال، إن

لم يكن لغرائزنا رادع سنستوحش، غير أنها ستكون حياة مرهقة ومتعبة

- إنها بالفعل مرهقة، أولئك الناس أحياناً يتخلصون من حياتهم إرهاقاً، أو مللاً

فقال وسيم باندماج:

- نِتاج اختيارتهم

تنهدوا جميعاً بأسى، ثم قالت:

- علينا الإستعداد في الغد، سنخبرهم في الصباح، وسأذهب أنا لأخذ إجازة طويلة من المشفى

فنظر لها القبطان عزيز بتمعن وقال:

- ليس هناك وقت فالخطر قد يداهمنا في أي وقت

نظرت له تميمة بقلق، فاستطرد:

- سأتصل بالشيخ عرفان وسنذهب إلى مكان آخر لا يعلم به أحد، وسأقوم أنا بأخذ الأجازة لكِ

تسلل الخوف لقلب تميمة وظهر ذلك جلياً على وجهها وعلى وجه وسيم أيضاً، فأردف:

- كما أريد منكِ يا تميمة إن أصابني مكروه أن تتزوجي حمزة وتشهروا زواجكما حتى ارتاح

فزعت تميمة ، وانتفض وسيم واقفاً قلقاً، ثم قالت:

- ماذا سيحدث يا جدي؟
- لا تقلقي يا صغيرتي...لا تقلقي أبداً، لقد أخبرت عرفان وحمزة بهذا الأمر، هل أنتِ موافقة؟
- موافقة

اتصل القبطان عزيز بالشيخ عرفان واتفق معه على الخروج والذهاب للعنوان الجديد ومقابلتهم هناك.

اجتمعوا وقصت عليهم تميمة ما رأته في منامها مرة أخرى وظلوا يتشاوروا حتى ظهرت على تميمة بوادر النعاس فقال لها جدها وحمزة في نفس ذات الوقت:

- استريحي قليلاً يا تميمة بالداخل

فابتسما وابتسم الجميع وخجلت تميمة قائله:

- حسناً سأنام قليلاً

دخلت تتوارى من خجلها أمامهم، فالتفت القبطان عزيز وقال لحمزة:

- اعتني بها يا حمزة، وكما قلت لك إن حدث لي مكروه تزوجها وهي موافقة
- تميمة في عيني يا جدي لا تقلق، ولن يحدث لك أي مكروه إن شاء الله لأنك أيضاً في عيني

احتضنه القبطان عزيز بحب وقال:

- شكراً لك يا بُني

صمت قليلاً ثم استطرد:

- سأذهب في الصباح الباكر أخذ لتميمة أجازة من المشفى
- دعني أذهب معك
- لا يا حمزة كن أنت معهم، ولا تقلق

تنهد حمزة مستسلماً:

- حسناً

استيقظت تميمة من نومها بفزع وهي تصرخ باسم جدها، فأسرع إليها الجميع ماعدا حمزة الذي لا تتخطى حدوده عتبة باب غرفتها، كان يحرقه

عدم الاقتراب منها في هذا الوقت، كان يفرك الطرقة ذهاباً وإياباً وهو يقول:

- هل هي بخير، ما بها؟...تميمة ما بكِ؟

فخرج ساهر يطمئنه:

- لقد رأت كابوس يخص جدها

قلق عرفان وقال:

- إذاً يجب أن اتصل به، لقد تأخر بالفعل

اتصل عرفان ولكنه لم يلقى رداً، فاتصل به مرة أخرى وقد تعالت بداخله صيحات القلق، حتى أجابه في المرة الرابعة، فاندفع عرفان يطمئن عليه:

- ماذا هناك يا عزيز، لماذا لم ترد من أول مرة؟!

همس القبطان عزيز:

- أتباع هالات الظلام يطاردونني، وأنا...

ثم قُطع الاتصال، فتوتر الشيخ عرفان والتفت لساهر وحمزة الناظران إليه بقلق، فقال وقد انسحبت الدماء من وجه:

- لقد أخذوه!، لقد أخذوا عزيز

نظر حمزة وساهر إلى بعضهما البعض مرددان بتوتر:

- هالات الظلام؟!
- أتباع لها خطفوه!

لم ينتبهوا لتميمة التي كانت تسمعهم إلا عندما سقطت على الأرض مغشياً عليها، فأسرعوا إليها وحملها ساهر أمام عيني حمزة المعلقة بها بخوف وقلق، وضعها ساهر على سريرها وجلس بجاورها وسيم والسيدة رقية يرعونها، ثم ذهب حمزة لإحضار الطبيب.

دخل حمزة ومعه الطبيب، الذي فحصها قائلاً:

- لا تقلقوا ستكون بخير، سأعطيها حقنة الآن لينتظم ضغطها، فيبدو أنها سمعت خبراً سيئاً
- بالفعل يا دكتور، هل هناك ما يجب علينا فعله؟
- حاولوا التخفيف عنها وتشجيعها، ادعموها حتى لا يتطور الأمر ويصبح انهياراً عصبياً
- حسناً يا دكتور، شكراً لك
- الشكر لله يا بُني، مع السلامة

بعد عدة ساعات، استفيظت تميمة لتجدهم متحلقين حولها وعلى وجوههم علامات الحزن والقلق، فبحثت بعينيها عن جدها فلم تجده، اغرورقت عيناها بالدموع وبصوت مبحوح قالت:

- أين جدي؟
- لم يجيبها أحد، صمتوا عن قلة حيلة، فسالت دموع عينيها وبقهر قالت:
- لقد فقدت كل عائلتي...

ثم أمسكت بيد وسيم وأردفت:

- لقد أصبحنا بلا أب وأم وأيضاً بلا جد

هنا خرج حمزة عن صمته:

- وماذا أكون أنا يا تميمة وساهر والشيخ عرفان والسيدة رقية؟!، لا تيأسي فنحن هنا بجانبكما، نحن عائلتكما يا تميمة لا تنسي ذلك، ولا تجعلي اليأس يدخل قلبك فهذا ما تريده هالات الظلام

هدأ نحيبها ثم نظرت إليهم فرداً فرداً، وقالت وهي تنظر بداخل أعينهم:

- نعم، أنتم معنا ولسنا وحدنا وأحمد الله على هذا كثيراً...لكن دون جدي لن أنجح في تلك الرحلة التي علىَ القيام بها

فقال الشيخ عرفان:

- تميمة!، جدك يعلم جيداً إنكِ تستطعين ويعلم مدى صلابتك، كما إنه قام بكل التحضيرات والتجهيزات لمساعدتك وأختار حمزة لأنه أمين وقوي...أنتِ قوية بالله وبنفسك وبنا فلا تخافي

تماسكت تميمة، وقالت وهي تبتلع غصتها:

- لن أيأس أبداً

فابتسموا جميعاً، ثم قال وسيم:

- ها هي أختي القوية

ابتسمت هي الأخرى، ثم تذكرت جدتها قائله:

- يجب أن أخبر جدتي، أين هي القوقعة؟

أحضرها وسيم وأعطاها إياها، فقامت بالاتصال بجدتها؛ لترد عليها جدتها بلهفة وهي تقول:

- تميمة!، أين جدك؟

اغرورقت عينيَ تميمة بالدموع:

- لقد اختطفه أتباع هالات الظلام

تفاجأت الملكة نوران، ثم قالت بهدوء:

- لقد نبهني لهذا الأمر!...هل جاءك المنام؟
- نعم
- لا تقلقي، لقد اتفقنا على مهاجمة صرح "نمرد" قلعة هالات الظلام و سنقوم بإنقاذ جدك كما سننقذ والدك ووالدتك فهما على قيد الحياة محتجزان في صرح نمرد

ارتعشت يد تميمة واقترب وسيم بلهفة قائلاً:

- حقاً يا جدتي ما تقولين!

تحشرج صوتها بالبكاء وهي تقول:

- حقاً يا صغيري،....تميمة أريد منكِ أن تكوني قوية ولا تقلقي أبداً سأقوم بتحرريهم، كما أن جدك أخبرني إنه تركك جاهزة وفي إيدي أمينة إن حدث له مكروه، كنت أود لو كان الشيخ عرفان معكِ ولكنه قال لي أن ساهر وحمزة على قدر كافي من القوة لحمايتك، والشيخ عرفان سيكون مع وسيم لحمايته وحماية السيدة رقية
- لا تقلقي يا جدتي، فلقد آن الآوان لأقضي على هذه الساحرة الشمطاء

ثم قال الشيخ عرفان:

- لا تقلقي يا ملكة النور...هل أخبركِ أيضاً أنه أراد من حمزة أن يعقد قرانه على تميمة؟
- نعم أعلم، ولم أمانع رغم إنني كنت أود أن تعقد تميمة قرانها بيننا ولكن هذا أفضل، لقد حكى لي عزيزعنه وأنا متطمئنه منه، وأتشوق لرؤيته

ابتسم حمزة ثم ظهر صوته يقول:

- أنا أيضاً سيدتي

ثم انتهى الاتصال، فوقف عرفان وقال وهو ينظر لتميمة وحمزة:

- عليكما أن تستعدا، فالآن سيعقد قرانكما، وستبحران بعدها

ابتسم حمزة وخجلت تميمة رغم شحوب وجهها... مرت بضع ساعات وأصبحت تميمة زوجة حمزة بعد أن نطق عاقد القران قائلاً "بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير"

التمعت عينيّ حمزة واقترب منها أخيراً، يأخذ ما حُل له ممسكاً بكفها بين يديه وقال:

- مبارك عليّ أنتِ، ومرحباً بكِ في حياتي يا حبيبتي

توترت تميمة وخجلت ولكنها شعرت في قربه وفي لمسة يديه بالسكينة والأمان، وباختفاء الضوضاء والأفكار التي كانت تعصف بها، ثم ردت بخجل:

- وأنا سعيدة لوجودنا في حياة بعضنا البعض

***

أبحرت السفينة بهم مخترقة أمواج البحر باندفاع، وقفت تميمة تنظر للمياة بشرود، تفكر في والديها وجدها وحياتها التي تغيرت بسرعة، في أخيها الذي أصبح قلبها يقلق عليه بشدة من هالات الظلام، وفي كيفية حمايتهم وإنهاء تلك الرحلة بنجاح...فاقترب منها حمزة عندما لاحظ شرودها قائلاً:

- لا تقلقي، سيكونوا بخير
- أتمنى ذلك يا حمزة

انتفض حمزة في مكانه وسحب تميمة خلفه متحفزاً لأي هجوم عندما سمع حركة بين الصناديق الموضوعة بجانب قمرة السفينة، واقترب ساهر أيضاً وهو يحمل سلاحه، حتى فاجئهم ظهور وسيم من بين تلك الصناديق وعلى ثغره ابتسامة عريضة، قائلاً:

- الآن لن يستطيع أحد التخلص مني ونحن في وسط البحر

فابتسم كلاً من حمزة وساهر رغماً عنهما، وصاحت تميمة وهي تنظر إليه بغضب:

- لماذا لم تستمع لكلامي يا وسيم، أتريد أن يطالك أذى؟!، ألست أنا أختك الكبيرة وعليك الإنصات إليّ؟!
- لأنكِ أختي يجب عليّ حمايتك، أريد أن أكون معكِ وأنتِ تواجهين كل ذلك حتى لا تكوني وحدك، كما أيضاً كنت أتمنى كثيراً القيام بمغامرة؛ وما إن تسنت لي الفرصة، أأتركها؟!..لا لن أفعل ذلك أبداً

شمرت تميمة عن ذراعيها تهدده وهي تستعد للجرى وراءه:

- سأعاقبك يا وسيم بيديّ هاتين

جرت وراءه في كافة أنحاء السفينة، وحاول ساهر إنقاذ وسيم من بين يديها، ووقف حمزة أمامها محاولاً تهدئتها، حتى قام بحملها كالأطفال لتضطر لتركه وقال لها بصوت به بحه:

- كفى يا حبيبتي، أرجوكِ كفى

نظرت تميمة لقدميها المرفوعتين عن الأرض، ولساهر ووسيم الضاحكان عليها، فاحمرت وجنتيها وهي تقول:

- حسناً، انزلني!

***

في نهاية اليوم اجتمع أربعتهم على طاولة الطعام، تسامروا وتناولوا طعامهم في جو عائلي لطيف رغم تناحر الأفكار المرعبة وظِل الأحداث المؤلمة.

ظلت تميمة تناقر أخيها تغيظه:

- احمد الله أن حمزة وساهر جعلاني أضع لك الطعام، كنت سأجعلك تخلد للنوم ببطن خاوية

ابتسم وسيم ملاعباً لها حاجبيه وهو يقول:

- لن أهون عليكِ يا تمتم

حاولت تميمة كبح ابتسامتها قائله:

- تمتم!، اسمٌ أحمق، لا تقله مرة أخرى

فضحك ثلاثتهم وابتسمت هي رغماً عنها ثم استطردت تسأله:

- هل أخبرت الشيخ عرفان حتى لا يقلق؟
- تركت له جواب، لو كنت قلت له وجهاً لوجه لكبلني في قدم السرير

ضحكا "حمزة وساهر" وقالا في صوت واحد: يفلعها

الجوهرة "فتاة!"

"الجوهرة بين أيديهم، يدمونها سباً وقذفاً، أيديهم مضجرة بدمائها، إن لم يسلبوا رحيقها سيسلبوا روحها، ولكن برغم الظلمات التي تحيطها تلمع وبرغم القهر قوية وأبية".

استيقظت تميمة من النوم مفزوعة تردد الكلمات بنشيج في صدرها مكتوم، ثم صرخت وهي تقول "لا"، ففزع حمزة وركض على باب غرفتها، ليجدها تبكي على حافة سريرها، فاقترب منها وحاوطها بيديه قائلاً:

- لا تقلقي يا حبيبتي، أنا هنا...بماذا كنتِ تحلمين؟

نظرت له وعينيها الزرقاء تملؤوها الدموع:

- لقد جاءني منام آخر عن الجوهرة
- ماذا كان فيه؟!
- إنها فتاة يا حمزة، وما تتعرض له بشع!
- دعينا نخرج لتتنفسين بشكل جيد وقصي لي ما حدث

أومأت تميمة برأسها، فساندها حمزة وخرجا يجلسان تحت فرش السماء اللامع، فتنفست تميمة بعمق، ثم نظر إليها وقال:

- الآن احكي
- يريدون منها أن تصبح مثلهم، جزء من كيان القبيلة...يريدونها أن تعمل بالبغاء وهي لا تريد، تريد أن تتحرر من قيد ظلمهم ووحشيتهم وضربهم لها كما تحررت روحها...ولم آراها؛ كنت أود رؤيتها وتبيان ملامحها حتى يكون البحث عنها أسرع

تنهد حمزة بقلق:

- إن شاء الله سنجدها وننقذها، لا تقلقي
- تقول لي أن لا أقلق وأنت صوتك يشوبه الكثير من القلق

ابتسم لها في حب:

- كيف عرفتي!
- أنا أهتم بكل شيء تقوله وبكل تفصيلة تصدر منك يا حمزة

زادت ابتسامته اتساعاً حتى بانت نواجزه واعترف:

- أحُبك

احمرت وجنتيها والتمعت عينيها بفرحة، ثم شددت على يديه بإبتسامة تعلو ثغرها

خطة جيدة

خرجت الملكة نوران ومعها ابنها أركون من القاعة وهي تقول بجدية وقوة:

- كما أخبرتك يا أركون أرسل المزيد من الحراس لهم؛ فهالات الظلام ستتخذها فرصة لهزيمتي، واختر الأفضل من فرساننا لتنفيذ المهمة الأخرى وكن أنت على رأسهم، وأنا سأذهب لأتجهز
- حسناً يا سيدتي

***

في المناطق المجاورة لمملكة النور سالت دماء وحوش هالات الظلام على يد الثلاثة والحراس، قاتلوهم ببسالة وقوة، قتلوا العديد منهم دون أن يصابوا بأذى، حتى بدأت أعدادهم تكثُر وتظهر وحوش أشرس من سابقتها وكأن هالات الظلام تراهم وتستمتع بلعبتها معهم، وانقلب الأمر لخسارة ثمانية حراس وإصابة لبيد في صدره، فأمر أشهب الحارسان المتبقيان في أخذ لبيد إلى مملكة النور وإرسال المساعدة، وظل هو وميسال التي أصرت على عدم تركه وحيداً؛ مختبئان لعدة دقائق حتى ظهر لهما هذا الوحش من اللاشيء، مخلوق لم يروه من قبل بشكله السوداوي وكأنه يتفحم وعينيه الحمراوتان اللتان تشتعلان ناراً، فمه الواسع الذى يظهر منه أزيج النار الملتهب وأسنانه التي وكأنها حديد مذاب، هيكله الكبير الضخم وقدميه المخلوفتان ويديه التي تشبهما في الطول والشكل.

أجفلا من هيئته تلك، فدفع ميسال لتقع على الأرض متألمه من موضع يده التي أحرقتها، وعلى إثر ذلك انقض أشهب على الوحش غاضباً وسدد له العديد من الضربات والتي لم تجدي معه نفعاً، فكلما قطع له طرف نما له

طرف آخر ثم أحرق الطرف المقطوع المكان، وبعد مناورات عديدة فاشلة في القضاء عليه اختبئا في كهف مائي

توتر أشهب وأخذ يخطو المكان ذهاباً وإياباً بعصبية، خائف من أن تصاب ميسال بأذى، ويقلقه أمرذلك الوحش الذي لن يصمد أمامه جيش بأكمله.

كانت ميسال تنظر له وتعلم ما يدور بخلده، فضلت أن لا تتكلم حتى يهدأ ولكنها رأت إنها يجب أن تتكلم معه حتى يجدا حلاً سوياً لهذا الوحش قبل أن يظهر أمامها مرة أخرى، فقالت مرجحة:

- عليك أن تهدأ قليلاً حتى نتكلم ونجد حلاً
- إن تكلمت الآن يا ميسال ستسوء الأمور أكثر، دعينا لا نتحدث الآن حتى لا أغضبك

تفاجئت ميسال من عصبيته التي لمستها، وشعرت أنها على وشك البكاء وهذا ما أغضبها، فأشاحت بوجهها عنه ولم تنبث ببنت شفة واتجهت لركن بعيداً عنه، والشيء الذى تكرهه فعلته وبكت!.

من يرى ميسال الآن لن يراها الفتاة القوية، الفارسة التي قد تغلب رجال في أول مبارزة، سيجدها كأي فتاة تريد أن يطمئنها أحد، سيجد الفطرة التي جُبلت عليها؛ قلبٌ رقيق وروح حانية.

فاقترب أشهب منها وهو يشعر بالذنب فكل عصبيته هذه لخوفه عليها وعلى المملكة، خائف من أن لا يستطيع حمايتها... وقف أمامها وحاول أن يقول شيئاَ يُصلح ما فعله، فهو يعلم أنه وبالرغم من صلابتها وقوة شخصيتها هي فتاة حساسة، ظل يفرك يديه ليقول شيئاً، فبدأت هي تقول بصلابة مزيفة:

- ليس لي يد في وجود هذا الوحش، ولا في موت الحراس يا أشهب، ولا اختبائنا هنا كالفئران كي تصرخ وتغضب علىّ وكأنني أنا السبب، و...

اهتز صوتها ولم تعد تستطيع إكمال كلماتها، فانتفض أشهب من مكانه لرؤيتها لأول مرة بهذا الضعف بل وأن يكون هو سبباً فيه**!**، جثا أمامها على ركبته وسند على سلاحه وقال وهو ينظر للأرض:

- لا يغضبني أي شيء غير عدم قدرتي على حمايتك وحماية مملكتنا من هذا الوحش، أنا أخاف عليكِ يا ميسال، سأجن إن أصابك مكروه، أنتِ غالية عندي جداً... أريدك زوجة... كنت لا أود البوح لكِ بهذه الطريقة، كنت أود البوح كالرجال أمام عائلتك وأمام كل المملكة بأنني أريدك زوجة، ولكنني سأطلبك منهم فور رجوعنا.

خجلت ميسال وارتجفت أوصالها من السعادة والفرح، وحاولت أن تكون على طبيعتها وتزيل الخجل الذي تشعر به..لكن هيهات، فوقف وابتعد مُعطياً لها ظهره حتى لا يحرجها أكثر، فزفرت ميسال بخجل

***

فُزعت الملكة نوران عندما رأت حفيدها لبيد في المركبة الآلية مصاب وفي طريق العودة إلى مملكة النور، فأسرعت إليه قائلة:

- ماذا حدث لك يا لبيد**!** ماذا أصابك؟

تفاجأ لبيد من رؤية جدته وقال:

- جدتي**!**، ماذا تفعلي هنا؟...سأكون بخير، لا تقلقي

نظرت له الملكة نوران بألم:

- سألقن هالات الظلام اليوم درساً لن تنساه أبداً، انتظر وسترى ماذا ستفعل جدتك
- أرجوكِ لا تعرضي نفسك للخطر يا جدتي
- لا تقلق يا حبيبي فجدتك مازالت قوية

ثم واصلت الملكة نوران المسير، وقضت هي وحراسها على العديد من وحوش هالات الظلام حتى التقت بميسال وأشهب وهما في تقاتل شرس مع الوحش السوداوي الذي ظهر لهم مرة أخرى، اندفعت على الوحش وصدت ضرباته الموجه لميسال وأشهب، فتفاجأ كلاً منهما بوجودها، ثم دفعتهم للوراء واستلمت قتال هذا الوحش، فصاحت ميسال:

- أنه لا يُهزم يا ملكتي، تنمو أوصاله كلما قطعناها له

لم تتزحزح الملكة نوران من أمامه ثم سلت سيفها وضربته ضربة شجته نصفين واحترق بنيرانه

تفاجأ كلاً من أشهب وميسال وهتفت الجنود باسمها فخراً، ثم قالت بصوت عالٍ:

- كل ما خُلق من نار يقتله الإيمان، ومن عاش في الظلام يعميه النور، يا جنود مملكة النور كونوا أقوياء بإيمانكم بالله، امسكوا بأسلحتكم واقتلوهم بذلك الإيمان...هيااا

فظهرت هالات الظلام من العدم لتفسد على الملكة نوران ما صنعته في جنودها، لتوقف قلوبهم خوفاً من رؤيتها وترتعد فرائضهم فزعاً مما قد تفعله بهم...فابتسمت الملكة نوران بخبث وقالت بهمس: " أخيراً خرجتِ من جحرك أيتها الحمقاء"، ثم نظرت لها بتحدي وقالت لجنودها:

- هيااا، أروها من نكون نحن

هجم الجنود هلى وحوشها بشراسة لم ترى مثلها من قبل، فزمجرت هالات الظلام بكره لنوران، ولم تستطع وحوشها التصدي لهم حتى الوحوش السوداوية التي هاجمت أشهب وميسال، شاركت الملكة نوران مع جنودها تقتل تلك الوحوش محاولة إلهاء هالات الظلام باقترابها منها؛ حتى يأتيها الخبر الذي تنتظره على أحر من جمر.

كانت الملكة نوران كلما اقتربت منها، تبتعد هرباً من المواجهة المحتدمة، حتى جاء لملكة النور الخبر الذي أرادت أن تسمعه طوال هذا الوقت " لقد نجحنا يا ملكة النور"

ابتسمت الملكة نوران واشتد عزمها أكثر وصارت تقتلهم بقوة أكبر، حتى استسلمت هالات الظلام لشدة ما رأت من عزيمة، فقررت الهروب وتنقذ نفسها من غضب نوران ولكن قبل أن ترحل قالت موجهة كلماتها لها:

- لم ولن أهزم يا نوران، وسأجعلك تتحسرين على ابنتك وزوجها وعزيز وحفيديكِ

فابتسمت الملكة نوران بسخرية، وهربت هالات الظلام....

هزيمة وانتصار

في نمرد زمجرت هالات الظلام بصراخ وهي ترى وحوش وحراس صرحها مقتولين وزنازينه جميعها مفتوحة ولا يوجد بها أحد، فصرخت وهي تردد وتقول " سأقتلك يا نوران".

***

دخلت الملكة نوران قصرها وقلبها يهفو لرؤية ابنتها كالطير، كانت قدميها تُسابقان بعضهما البعض وكأنها ستطير، دفعت الباب بكلتا يديها بشوق لتجد ابنتها هي الأخرى تسرع في استقبالها، التقت أعينهما فتوقفا لبرهة من الوقت أو توقف الوقت لهما لتسيل دمعاتهما التي تحمل ألواناً كثيرة من حزن الفقد ومرارة الشوق، ولم يمر الكثير حتى احتضنتا بعضهما البعض بلهفة وشوق كل الأيام التي أبعدتهما فيها هالات الظلام عن بعضهما البعض...بكى الجميع لرؤيتهما بهذا الحال ولعن كلٌ منهم هالات الظلام على شرها، ثم اقترب منهما أركون وعيناه تغشاهما الدموع:

- الحمد لله على سلامتكما يا حبيبتيّ

ابتسمتا له وأمسكتا به يحتضناه هو الآخر، فاحتنضهما بالمثل وقبّل جبينهما براحة لوجودهما معه الآن..، ثم جلسوا جميعاً براحة وسعادة لأول مرة منذ وقت طويل، وأحضرت ميسال القوقعة ليتحدثوا إلى تميمة والجميع ويفاجئوهم برجوع والديها.

أعطت ميسال القوقعة لعمتها والسيد حسام، فأخذاها بلهفة وقاما بالاتصال، لتجيب تميمة وهي تقول:

- جدتي، السلام عليكم

اغرورقت عينيّ السيدة آسين والسيد حسام وتحشرج صوتهما فانتبهت تميمة وسألت بعدم تصديق:

- من؟!
- تميمة، حبيبتي وقرة عيني

لم تصدق تميمة أذنيها وفغر وسيم عيناه مما فهمه، ثم قالت ودموعها تنهمر:

- أمي؟!
- نعم، أنا هي يا عزيزتي

بكت تميمة بكاءً حاراً، كانت تبكي بصوت عال كالأطفال، فحاوط حمزة كتفها بيديه يهدأها، وبكى وسيم في صمت، ثم ردت بين شهقاتها:

- أمي، لقد اشتقت إليكِ وإلى أبي كثيراً...أين أبي أريد سماع صوته؟

فرد السيد حسام ما بين أنين وبكاء:

- أنا هنا يا عزيزتي، يا فلذة كبدي وفرحتي الأولى، أنا هنا يا حبيبتي
- أبي، أريد أن احتضنك واحتضن أمي وأشم عبيركما الآن
- سنلتقي قريباً يا عزيزتي، فكوني قوية لأجلنا يا تميمة

ثم قالت السيدة آسين:

- أين وسيم؟

نظرت تميمة لأخيها ولعينيه الحمروتان ودموعه التي أغرقت وجهه وهو يقول بصوت مبحوح:

- أنا هنا

شهقت السيدة آسين ببكاء فقال السيد حسام بحسرة:

- لقد كبرت يا وسيم وأصبحت شاباً، لقد اخشوشن صوتك يا ولدي وكبرت وأنا لست بجانبك

بكت السيدة آسين وهي تقول:

- أتمنى رؤيتك الآن يا صغيري
- إن شاء الله سنعوض تلك الأيام يا أبي، كما إنني أحتاجك وأحتاج مصاحبتك..وأنا أيضاً كثيراً يا أمي، كم أتمنى السكون في حضنك وأتنعم بلمسات يديكي الحنونة

ثم قالت تميمة بحماس ولهفة:

- تلك اللعينة هالات الظلام سأدمرها بإذن الله وسنجتمع جميعنا عن قريب

فردت الملكة نوران:

- بإذن الله يا عزيزتي، كوني بهذا الثبات وستهزميها بسهولة، إنها ضعيفة وجبانة؛ يهزمها الإيمان

فقالت ميسال:

- نعم يا تميمة، لو كنت رأيتيها اليوم في ساحة المعركة لأدركتي كم هي جبانة وهي تهرب من جدتي
- معركة!، أخبرونا بما حدث اليوم؟

قصت ميسال عليهم ماذا حدث في هذا اليوم، فملأ الفخر قلوبهم وزاد وهج الإيمان به، وعلت الإبتسامة ثغورهم، وارتاحوا بعد عناء وأسى أيام كثيرة، وظهرت الضحكات والذكريات الجميلة، ثم خرج أشهب عن صمته وقال بخجل وتوتر:

- في هذه المناسبة السعيدة أريد أن أطلب يد الآنسة ميسال...هل توافقون؟

ضحك لبيد بتاؤه وهو يقول:

- ولماذا أنت متوتر هكذا، من يراك الآن لا يرى أشهب أسد المعارك

ضحك الجميع، وخجلت ميسال وتسمرت في مكانها وكأنها صنم، ثم ردت الملكة النوران:

- يشرفنا إعطاء ابنتنا لك يا أشهب، فلن نجد رجل مثلك أبداً يا بُني، لكن يتبقى رأي والدها ووالدتها وقبلهم جميعاً رأيها

فابتسم أركون قائلاً:

- أنا لا أمانع أبداً، أنت ابني الثاني، ووالدك صديقي المقرب، لن أجد أفضل منك لابنتي

وردت والدتها بسعادة وحماس:

- يا إلهي!، إنه يوم سعدي حقًا

فضحك الجميع بسعادة، ثم قال السيد أركون موجهًا كلماته لابنته:

- تبقى رأيك يا ميسال

لم ترد ميسال، فضحك لبيد قائلاً:

- ألا ترى وجهها يا أبي، إنها حتماً موافقة، ميسال أختي إن لم تكن موافقة ستقول ذلك بكل يسر وسهولة

اصطبغ لون وجهها بلون الخجل أكثر وأكثر فضحك الجميع وباركوا لهما بالسعادة والخير.

قبيلة مانتي

ظهرت في الأفق آثار حجارة جزيرة مانتي وظهر معها أصوات الدفوف ونغمات الرقص. وقفت تميمة تنظر إلى مانتي تتساءل كيف ستجد تلك الفتاة التي تُسمى بالجوهرة، أما حمزة فظل يتساءل ماذا سيحدث عندما ينزلون على أرض مانتي!، خائف من أن لا يستطيع حماية تميمة، خائف من أن يفشل في مساعدتها، كذلك ساهرووسيم خائفان على تميمة وخائفان من الفشل ولكن على الرغم من كل هذا كانوا متشوقون لتلك المغامرة.

وطأت أقدامهم أرض الجزيرة على إنهم سائحين، واستغرب سكان مانتي احتشام ملابس تميمة وتحفظ الرجال الثلاثة واستنفارهم مما يفعلوه من عرض نساء القبيلة عليهم اللاتي تفنن في عرض أنفسهن عليهم.

حاوط حمزة تميمة بيده وكأنه يحميها من نظراتهم التي تستفزه، ووقف وسيم وساهر خلفها ليحمونها أكثر، وتراءت في عقولهم قصة مدينة "بومبي" المدينة التي عُرفت بالعُهر وارتكاب الرذيلة بكافة الأشكال والألوان مدونينها على جدران المباني والبيوت، كانوا يبنون غرف منفصلة في الشوارع لارتكاب الزنا، وهي نفس المدينة التي طمرها بركان فيزوف وأهلك أهلها وهم على وضعياتهم التي كانوا عليها وماتوا وهم يفعلون ما يفعلون، ومن قبلهم قوم لوط الذين أهلكهم الله بقلب قريتهم ورفعها عالياً وجعل عليها سافلها مرافقًا ذلك صيحة عظيمة و مطر السوء من حجارة سجيل فأبادهم عن بكرة أبيهم لارتكابهم اللواط، فكان الرجل يأتي الرجل دون المرأه.

تجولوا كثيراً في الأسواق آملين في أي خيط يوصلهم بالجوهرة التي تتحدث بها أحلام تميمة، اشتروا المشغولات الفضية واليدوية حتى لا يشك بهم أحد، حاول حمزة وساهر التعرف على بعض الرجال وأن يقيموا بعض العلاقات، وحاولت تميمة التحدث إلى بعض النساء أيضاً وتثنيتهم

على ما يفعلون، ذاكرة لهم عاقبة ما يفعلون وما سيجنونه صحياً ونفسياً في الدنيا وأيضًا في حياة الأخرة، ولكن لم تلقى لها أحدهن بالاً، لكنها لم تيأس ولن تيأس فيكفي أن تكون الجولة الأولى حصادها إلفات أنظارهن.

وقف ساهر أمام إحدى بارات الخمر عندما سمع ضجة عالية ناتجة عن صراخ وتكسير، ورجل يصيح في امرأة بكلمات غير مفهومة، فنظر إلى وسيم وقال:

- وسيم تعال إلى هنا حالاً

فأقبل وسيم سائلاً:

- هل توصلت إلى أي شيء؟
- لا أعلم ولكن أريدك أن تنصت لهذا الشجار وأخبرني إن فهمت ما يقولوه، فهناك امرأة تصرخ وبعض الرجال يصيحون بالداخل جعلاني أشعر بالغرابة

فجأة خرجت من البار فتاة مسرعة، وجهها مضجر بالدماء وشعرها الغجري متناثر حولها وبيدها وشاح، وقبل أن تهرب الفتاة أمسكها الرجلان الموجودان بالخارج، ففغر ساهر عينيه وهجم على الرجلين الممسكان بها دون تفكير وخلصها منهما، ثم أمسك يدها وصاح قائلاً لوسيم:

- اركض بسرعة.

ركض ثلاثتهم بكل قوة حتى استطاعوا الإفلات من هؤلاء الرجال، ثم وقفوا قليلاً في إحدى الزقاق ليلتقطوا أنفاسهم. نظر إليها كلاً من وسيم وساهر وقلوبهم تتمنى أن تكون هي من يبحثون عنها. وقف ساهر أمامها ليسألها فرفعت إليه وجهها الدامي فحزن عليها، ومد يده لوجها ليفحص جروحها، فابتعدت بوجهها وسحبت يدها بقوة من يده، فلاحظ أن ظهر يدها ليس موشوم مثلهم، لكنه يملك علامة، فقال لها بتمعن:

- لماذا لا تضعين وشم قبيلة مانتي؟

ردت بقوة وهي تضع وشاحها على رأسها:

- "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله".، ولم يلعن الله شيئاً إلا وكان في منعه خير، وإستباحة ما حرم الله به ضرر

فابتسم وسيم وانفرجت أسارير ساهر، ثم قال:

- إنها أنتِ!، الجوهرة!

ارتابت جوهرة منهما ونظرت إليهما وقالت في خوف تحاول كبته:

- ماذا تريدان مني، وكيف تعرفان اسمي؟!

تفاجأ كلاً من وسيم وساهر، ثم قال ساهر:

- إذاً جوهرة هو اسمك!...لا تقلقي نحن هنا لإنقاذك

ارتابت أكثر، فأخرجت نصل حاد من بين ملابسها ووجهته على رقبة ساهر وقالت:

- هل تظنني مغفلة؟، إنها بالتأكيد حيلة أخرى من رئيس القبيلة

خاف وسيم، وابتسم ساهر قائلاً وقد اندفع الأدرنالين بدمائه بحرارة وإثارة:

- استشعري قلبك وافتيه في أمرنا، وابعدي هذا النصل فأنتِ لن تفعليها
- حقاً!، هل تريد أن تجرب؟
- لا، لا أريد أن أجرب ولكن يكفي أن ننقذك من هذا المكان

ثم نظر إلى بعض خصلاتها السوداء الفاحمة التي تمردت من تحت وشاحها:

- الآن لملمي شعرك جيداً، وهيا لنتحرك

توردت وجنتاها، ولملمت شعرها بلهفة وخجل، فهمس وسيم قائلاً:

- إنها حقاً الجوهرة!

خرجوا من الزقاق ليتفاجأوا بهجوم ثلاثة رجال ضخام عليهم، أمسك رجلان منهم بساهر الذي كان يصارعهم بقوة، وأمسك الآخر بوسيم الذي

حاول التملص منه على قدر المستطاع حتى طرحه الرجل أرضاً وقام بلوي ذراعه حتى كسرها بين صرخاته

صرخت جوهرة ثم أخرجت النصل الحاد وأصابت رأس الرجل البارك على جسد وسيم، فصرخ الرجل يسبها ويلعنها، فانتبه إليه الرجلان الآخران، فاستطاع ساهر الإفلات من قبضة أحدهما وسدد إليه بضع لكماتٍ قوية، وقامت جوهرة بالهجوم على الآخر لتعطله حتى ضربه ساهر هو الآخر، ثم هرب ثلاثتهم مرة أخرى.

ظنوا إنها النهاية وسيرحلون من هنا فور ركوب السفينة، ولكن الأسوء كان بانتظارهم عندما وجدوا حمزة يصارع وحشان غريبي الشكل مخيفين ومنفرين، وتميمة تحاول مساعدة حمزة بكل قوتها.

شهقت جوهرة فور رؤيتها لهذان الوحشان، وهجم ساهر ووسيم بذراعه المكسور على الوحشان لتخليص حمزة، وحاولت جوهرة هي الأخرى المساعدة، حتى استطاع حمزة التغلب على أحدهما وقتله ولحقه الآخر بعد أن ضربته تميمة ضربة قسمته نصفين كما فعلت جدتها مع الوحش السوداوي، فزمجرت هالات الظلام بعد أن ظهرت من العدم.

فزع الجميع من حضورها المريب وشكلها الأغرب وهالة الظلام التي تحيطها، لكن تميمة لم يهزها شيء بل ونظرت لها بثبات وعلى وجهها إبتسامة ساخرة وكأنها لم تعد تهاب شيئاً، كرهها لهالات الظلام التي حرمتها من والديها سنين طويلة جعلها هكذا، ثم قالت ساخرة:

- هل ما فعلته الآن ذكرك بما فعلته جدتي بالأمس؟

فزمجرت هالات الظلام واختفت مرة أخرى، ثم نظرت تميمة إلى جوهرة وإلى ظهر يديها الغير موشوم وقالت وقد انفرجت أساريرها:

- اركضوا بما تملكون من قوة فهالات الظلام لن تتركنا نرحل من هنا بسلام

ركضوا وركض خلفهم سكان المدينة بعد أن تحولت أعينهم إلى اللون الأسود، لكنهم ركبوا السفينة بسرعة وفروا من حشد المدينة، إلا أن حشود

من وحوش البحر حاوطتهم لتمنعهم من الفرار، فتذكر وسيم صندوق اللؤلؤة وحوريات البحر، فأحضر الصندوق وأخرج شعرة من شعيرات حورية البحر وهمس لها:

- أرجوكِ أحضري المساعدة

لم تمر ثلاثة دقائق حتى سمع أصوات عالية لصوت يجمع بين صوتي الحيتان والدلافين ولكن بنعومة أكثر وصدى، اقترب من حافة السفينة ليتأكد، فرأى عدد كبير من حوريات البحر البهية، بذيولها الطويلة وقشورها الملونة والتي تتغير لأكثر من لون بتفاوت ضوء الشمس عليها، وشعورهم الطويلة التي تلمع كالنجوم رغم نور النهار، وقف جميعهم منبهرين من جمال الحوريات ولسان حالهم يردد "سبحان الله".

اشتبكت حوريات البحر مع وحوش هالات الظلام وكانت معركة ضارية حتى أتت مساعدة أكبر من جنود مملكة النور وعلى رأسهم أشهب وميسال..ابتسمت تميمة عندما رأت أسطول مملكة النور الذي أتى لمساعدتهم، قائله:

- سيصبح الأمر غريباً لسكان الأرض إن شاهدوا هذه المعركة، وتلك الوحوش

فردت ميسال وهي تتسلق السفينة:

- لا تقلقي، لن يرانا أحد؛ لقد أحطنا المعركة بساتر تكنولوجي يمنع أي أحد من رؤيتنا، الناظر سيرى التقاء البحر بالسماء ولا غيرهما

عكصت تميمة ما بين حاجبيها، وما لبثت إلا ابتسمت وقالت بفرح:

- ميساال، أليس كذلك؟

دنت منها تحتضنها وقالت مبتسمة بنفس الفرح:

- نعم، أنا هي يا أختي

وفجأة وثب أشهب على سطح السفينة هو الآخر وقال موجهاً كلامه للجميع مبتسماً:

- أهلاً، أنا أشهب

توجه إليه حمزة ووسيم وساهر بإقبال، ثم قال حمزة:

- أهلاً بك يا أشهب، تشرفنا بك

أخرج أشهب ستة من البذلات المتطورة لمعارك مملكة النور وقال موجهاً كلماته لحمزة وساهر:

- البسا وتجهزا حتى ننزل إلى المعركة

أخذاها منه بحماس واستعجاب، ثم استطرد أشهب قائلاً:

- أما أنت يا وسيم ستجلس هنا مع الفتيات لحمايتهم نظراً لإصابتك، والبس تلك البذلة حتى تعمل على إسعاف ذراعك

أومأ وسيم بالموافقة، ثم نظرت إليه ميسال بغيظ وقبل أن تتكلم قاطعها قائلاً بلطف طاغي:

- أرجوكِ ليس اليوم، احميهم واحمي السفينة

وقبل أن يقفزوا في البحر قال حمزة لأشهب:

- ما المميز في تلك البذلة غير قناع التنفس الهلامي الغريب هذا وجهاز تحديد المواقع

لم يتكلم أشهب ولكنه أخرج سلاحه وأطلق على حمزة النار، فصرخت على إثرها تميمة بفزع، إلا أن حمزة لم يصيبه شيء أبداً...وفغر حمزة وساهر فاهما، ثم قال حمزة مُعجباً:

- إنها تمتص الترددات، لم تحركني الرصاصة إنشاً واحداً

ابتسم أشهب وقال:

- أعلم...هيا بنا

- هيا بنا

قفز الثلاثة أمام مرأى عين الثلاث فتيات، فوضعت تميمة وميسال يدهما على قلبيهما؛ فالأولى لها زوج وأخ والثانية لها خطيب، أما جوهرة فكانت كالتائهة لا تدرى من أين أتى كل هذا ولكنها تشعر الآن إنها ستكون بخير طالما ابتعدت عن قبيلة مانتي ورئيسها

نظرت تميمة إلى جوهرة وقالت لها بود وحنو:

- أهلاً، أنا تميمة

ابتسمت لها جوهرة بتوتر:

- مرحباً بكِ، أنا جوهرة

تفاجأت تميمة تقول:

- إذن هذا اسمك!...لم أكن أتوقع أن أجدك بهذه السرعة يا جوهرة، الحمد لله
- من أين تعرفونني، ولماذا تبحثون عني؟!
- سأخبركِ ولكن قد تجدين في كلامي غرابة وقد لا تصدقين
- بعد هذا اليوم وما رأيته فيه سأصدق أي شيء تقولينه لي مهما كان غريباً

قصت تميمة على جوهرة كل شيء مر عليها منذ عيد ميلادها الخامس والعشرين حتى اليوم، وأكملت ميسال الأمور التي تخص مملكة النور وقبائل البحور السبعة.

اغرورقت عينيّ جوهرة بالدموع وقالت:

- الحمد لك يا الله يا كريم يا رحيم يا مغيث

ثم استطردت وهي تبكي بكاءًا غزيراً:

- لقد تأذيت كثيراً وصبرت، كنت أناجي الله كثيراً وأطلب أن يخرجني من قبيلة مانتي الظالم أهلها، أتدريان كنت أخاف أن أنام في منزلي

بسبب أولئك الزائرين السكارى، ومحاولاتهم في جعلي بالإنضمام إليهم أو في الاعتداء عليّ...

استرسلت جوهرة في الحديث وانتبهت الفتاتان لها بكل حواسهما، انفطر قلبيهما عليها مما لقته هذه الفتاة من أوجاع ومشقة وخوف، فسألتها تميمة:

- من علمك دينك يا جوهرة، كيف أصبحتي بهذه العفة وهذا التقرب من الله؟

ابتسمت جوهرة وقالت:

- لقد علمني العم"عبدالله"، أول مرة رأيته فيها كانت على ميناء جزيرتنا بقرب سفينته، يرتل القرآن بصوت جعلني أتعلق بالكلمات التي ترتل وأحفظها عن ظهر قلب رغم إنني لم أفهمها ولكنها كانت كافية لجعلي أشعر بالخفة والراحة، في كل مرة كنت أراقبه، حتى انتبه لي في يوم وناداني، فاستجبت له واقتربت منه وبدأ بتعليمي كل الأمور التي تتعلق بالله والدين، لم يكن شيخاً ولكنه كان على القدر الكافي من العلم لتعليمي...الفضل يعود لله وله

قالت ميسال:

- أنتِ نقية السريرة يا جوهرة...عندما خُيرتي بين طريق الشر والطريق إلى الله؛ اخترتي الطريق إلى الله، كل إنسان يملك خيار اتخاذ القرار بين هذين الطريقين فكلنا نحمل الأمانة التي أبت الجبال والحيوانات على حملها وحملها الإنسان لأنه ظلوماً جهولا

ابتسمت تميمة هي الأخرى واحتضنتها، وظلا يخففان عنها حتى سمعوا صوتاً في الخارج؛ فتأهبت كلا من ميسال وتميمة وخرجتا ليتحرا عن مصدر الصوت، ليجداه ساهر بجبينه الملطخ بالدماء وعينيه الشاردتين بحزن، شهقت تميمة وجرت عليه لتتفحص جبينه وهي تقول:

- ساهر!، كيف أصبت؟
- لا تقلقي يا أختي إنها إصابة بسيطة

ثم نظر إلى جوهرة التي خرجت، وقلبه ينجذب أكثر إليها وأيضاً يغلي لما سمع منها قصتها بالصدفة، وكأنه يعرفها منذ زمن وليس منذ قليل، وكأنها قريبة منه ومن المضغة التي في صدره، وقال:

- لقد انتصرنا

***

اجتمع الجميع على طاولة الطعام بعد أن أصرت تميمة على تناول ميسال وأشهب طعام العشاء والحظي ببعض الوقت معهم، ماعدا جوهرة التي أثرت أن تتناول طعامها في غرفتها لأنها تشعر بالحرج منهم وأيضاً لأنها تكره أن تكون عبئاً على أحد أو مصدر إزعاج، تسامروا واحتفلوا بانتصاراتهم التي حققوها في أجواء من السعادة والفرح...أما في نمرد كانت هالات الظلام في أعلى ذروات غضبها تعاقب وحوشها على الهزيمة بالقتل.

***

اقترب ساهر من تميمة وقال لها:

- أريدك يا تميمة أن تعتني بجوهرة وتصادقيها حتى لا تشعر بالحرج، فهي على ما تبدو شخصية حساسة

ابتسمت تميمة بتفاجيء من طريقة ساهر وحرصه على الاهتمام بها قائله:

- لا تقلق، سأكون لها أخت، ولكن أخبرني لِما هذا الاهتمام؟!

رد ساهر بتوتر:

- لا شيء، لكنني حزين عليها وعلى المعاناة التي عانتها، وأظن أنه يجب علينا أن نُشعرها بالأمان

فاتسعت إبتسامة تميمة:

- حسناً!، ولكني أشعر بطاقة أخرى تنبعث منك غير الحزن عليها

عكص ساهر ما بين حاجبيه وقال بخبث:

- عن أي طاقة تتحدثين؟!
- عندما أتأكد من نوع الطاقة سأخبرك

فابتسم ساهر قائلاً:

- حسناً!، يا دكتورة الطاقة سأنتظرك

دفعته تميمة بمزاح:

- اذهب الآن، إلى اللقاء

ثم أدارت له ظهرها ليقلد كلماتها بسخرية، فنظرت إليه وأخرجت له لسانها وصفقت الباب في وجهه وهي تضحك.

اعتدلت جوهرة في جلستها فور دخول تميمة، توترت ملامحها؛ لا تدري ماذا تفعل أو ماذا تقول...فنظرت لها تميمة بحنو وود وقالت بحماس:

- هل من الممكن أن نصبح صديقتين؛ فأنا الفتاة الوحيدة هنا على السفينة، لكن في الحقيقة أتمنى أن تصادقني فتاة قوية مثلك

نظرت جوهرة في عينيها بعد جملتها الأخيرة باندهاش وقالت:

- أنا لست قوية يا تميمة، أنا مُدمرة

عكصت تميمة ما بين حاجبيها:

- لستِ قوية!!، مع كل هذا الذي عانتيه من مشقة وألم وضغوط دون أن تستسلمي، وتقولين إنكِ لستِ قوية، يا إلهي، لو تعلمين كم شخص انهار تحت وطأة الحزن فقط لعلمتي كم أنتِ قوية يا جوهرة، الأقوياء لا تستطيع الحياة تدميرهم حتى لو شعروا بذلك، قد يُتعبوا قليلاً ولكنهم يظلون كجذور الأشجار ثابتين

فأُشرق وجه جوهرة من كلمات تميمة المشجعة:

- أشكرك على لطفك معي يا تميمة وعلى كلماتك المشجعة

ثم ما لبثت ثواني حتى كسى ملامحها القلق والهم مرة أخرى، فسألتها تميمة:

- ما بكِ؟
- أعلم إنه يجب عليّ الرحيل الآن، أعدك إنني سأتصرف بسرعة
- عزيزتي جوهرة!، أنا لن أتركك أبداً حتى أطمئن عليكِ وأراكِ مستقرة، أولاً لحمايتك من هالات الظلام فالرحلة لم تنتهي بعد، ثانياًالمسلم لا يترك أخوه المسلم في حاجة دون مساعدته، ثالثاً كيف أتركك وقد صرنا صديقتين الآن

اغرورقت عينيّ جوهرة بدموع الفرح والراحة التي أتت بعد مشقة طويلة وقالت:

- شكراً لكِ يا تميمة..شكراً جزيلاً

***

مرت أيام كثيرة ولم تأتي لتميمة منامات أخرى لكنها مرت في سلام وحب، ومرت على جوهرة وهي تشعر بالراحة والألفة بينهم رغم إنها تخاف أن تكون عبئاً على أحد، لكنها شكرت الله كثيرا بلا كلل ولا ملل على وجودها بينهم، كما أحبت تميمة واقتربت منها وألفت وسيم وكأنه شقيقاً لها هي الأخرى، وشعرت بالأمان في قيادة حمزة للسفينة وارتاحت لساهر كما لم ترتاح لأحد من قبل إلا إنها كانت دائماً تهرب من نظراته الخاطفة لها، نظراته التي كانت تشعر بأنها تنفذ لداخلها وتعرف ما الذي يدور في خاطرها؛ وهي تكره ذلك التعري الذي يجرد الشخص من نفسه ليضعها في شخص آخر، كما إنها تخجل من تواجده عن البقية، تهتم برأيه وتخاف أن يراها فتاة من "جزيرة مانتي" يجب الحذر منها...ولأول مرة تشعر جوهرة بالحب والأمان

مغامرة جديدة

رأت نفسها تمشي في سوق كبير أرضيته من البازلت وبائعيه منقسمين ما بين الغِنى الفاحش والفقر المدقع، شعب انتهكت حريته في الطرقات وفاحت في شوارعه رائحة الفساد وظلم وجور الحكام والمسئولين، انتبهت لجلبة خلفها، فالتفتت لترى رجلٌ يسحبه الحراس من ملابسه الرثة الممزقة وهم يقولون له:

- أنت أيها الصلعوك! لماذا لم تدفع ضرائبك؟..هيا إلى الحبس

ليصرخ الرجل ببكاء تنقطع له نياط القلب قائلاً:

- ماذا أفعل؟! لقد طفح كيلي، الآتي من المال لا يكفي ضرائبكم ولا حاجة أولادي وسد جوعهم، أطفالي يجوعون وأنتم غارقون في ما لذ وطاب من عرق جبيبنا، أنتم سارقون لحياتنا وأعمارنا التي تدور في ساقية لتعيشوا أنتم في رفاهية
- اخرس أيها الثائر الصعلوك، الخائن لبلاده والثائر ضد تطورها، أيها الناكر تستحق العقاب

وقام الحراس بضربه بالسياط، وهو يصرخ من فرط الألم ، كادت أن تتدخل إلا أن كل ما حولها تبخر ثم سقط سيف من السماء أمامها، فاقتربت منه ليظهر لها على نصله كلماتٍ تبرق وكأنها تكتب في نفس الحين واللحظة " يستحق السيف محارب يملك قلباً وجيفاً كجناح الفراشات إلا إنه ضاري من سلالات الملوك تفر منه الضباع، يحل العدل بيد الله بطرد الظالمين وجبر المستضعفين، وسيأتي السيف لمحاربه كما سيأتي محاربه إليه"

مدت يديها لتمسكه فباغتها ضوء ساطع أرغمها على إغماض عينيها لتفتحها مرة أخرة في غرفتها على السفينة، قامت تترنح بسبب تحرك السفينة بقوة، دارت بعينيها فالغرفة تبحث عن جوهرة فلم تجدها، فخرجت لتجدها في المطبخ تحضّر الفطور، ابتسمت لها وحيتها قائلها:

- السلام عليكم يا جوهرتي..صباح الخير
- وعليكم السلام يا تميمتي، صباح الخيرات...ماذا بكِ؟! تبدين مُتعبة
- لقد أتاني منام جديد

قالت جوهرة بحماس:

- أخبريني ماذا جاءك؟

دخل كُل من حمزة ووسيم وساهر وتميمة تقص عليها المنام، وبعد استماعهم جميعًا، قال حمزة:

- هل تعلمين اسم المدينة؟
- لا
- أوصفي لي السوق الذي كنتِ تمشين فيه

وصفت له تميمة السوق، فنظرإلى ساهر الذي قال وهو يهز رأسه بيأس:

- سنبحر كثيراً، فهناك سبعة أسواق بهذا الوصف

فقال وسيم:

- دعونا نمر على الأسواق الأكثر شبهاً مما قالته تميمة ونتأكد أكثر من صور هذه الأسواق في الشبكة العنكبوتية
- سنقوم بذلك إن شاء الله

ثم قال وسيم مرة أخرى بمرح:

- لكن ما هذه الرائحة الذكية، لقد زقزقت عصافير بطني..يا إلهي كما أنا جائع

فضحكوا على طريقته المرحة التي تملئهم بهجة وتُقلب الأحداث الملحمية أوالأخبار السيئة إلى اللاشيء، فقالت له تميمة:

- انتظر يا صغير سأحضر لك الطعام

عبث وسيم:

- لست صغيراً يا تميمة، ماذا أفعل حتى لا تقولي لي هذه الكلمة

ضحكت تميمة بشدة، فقالت جوهرة:

- لست صغيراً ولكن عبوثك لطيف كعبوث الأطفال وهذا ما تحبه تميمة

كان ساهر ينظر إلى جوهرة بنظرات خاطفة، فنظر وسيم لساهربخبث وقال لجوهرة:

- إذا سمحتي يا جوهرة ناوليني الخبز أرجوكِ؟

ابتسمت له جوهرة، ونظر ساهر إليه بتساؤل على نظراته تلك ناحيته، فاستطرد وسيم قائلاً بإبتسامة خبيثة:

- تطهين جيداً يا جوهرة..طعامك لذيذ، لو أكل الناس طعامك في بلدتنا سيأتيكِ الكثير من الخطاب

اتسعت عينيَ ساهر مما قاله وسيم فنهره قائلاً:

- تناول طعامك، واصمت

أساءت جوهرة فهم ساهر، فاستأذنت منهم وخرجت وقلبها يؤلمها، وظل ساهر ووسيم يتهاوشان، لكن تميمة خرجت وراءها وجلست بجانبها تسألها:

- لِما خرجتِ؟
- لا شيء، كنت أود الجلوس أمام البحر قليلاً
- تعنين إنه لم يضايقك شيء بالداخل

حاولت جوهرة أن تتظاهر بالجمود، لكن سريعاً ما خانتها دمعاتها ونزلت على خديها بحرقة وقالت بألم وقهر:

- ستظل وصمة عار قبيلتي ملتصقة بي حتى وإن لم أكن مثلهم

عكصت تميمة ما بين حاجبيها وقالت:

- ما الذي يجعلك تقولين هذا الكلام يا جوهرة؟!
- ألم تري كيف كانت ردة فعل ساهر بالداخل!

فابتسمت تميمة وقالت:

- لقد أسأت فهم ساهر وردة فعله في الداخل...

نظرت لها جوهرة بشرود وقالت:

- وما الذي أساءت فهمه
- ساهر...

فقاطعها ساهر وهو يقول:

- سأقول لها أنا يا تميمة

التفت إليه تميمة، وخُطف لون جوهرة، ثم قالت:

- حسناً

تركتهما تميمة وحدهما، وتقدم هو إليها حتى أصبح أمامها، نظرت إليه لتجده مبتسماً، فاحمر وجهها خجلاً ووضعت وجهها بالأرض مرة أخرى، ثم قال ببساطة:

- أنا أريد الزواج منك يا جوهرة، هل توافقين؟

فغرت جوهرة عينيها وفاهها ولم ترفع رأسها عن الأرض خجلاً، بل وزاد توترها الذي ظهر في جلستها، فابتسم ساهر مستطرداً:

- سأتركُكِ الآن لتفكري

تنفست جوهرة الصعداء بعد تركه لها وجالت بعينيها تتسائل، ثم ابتسمت بحب وفرحة.

دخل ساهر عليهم مبتسماً، فابتسم الجميع، ثم قال:

- لقد طلبت يد جوهرة

تفاجأ الجميع، ثم صاح حمزة قائلاً:

- مبااارك يا صديقي

ثم قال وسيم بمزاح:

- لقد سبقت كل الخُطاب يا حمزة هنيئاً لك

فنظر ساهر إليه مضيقاً عينيه محذراً إياه:

- لا تغيظني بعد الآن يا وسيم
- لماذا! وماذا ستفعل؟
- سأريك

قفز ساهر وركض خلف وسيم في كل أرجاء السفينة وأصوات صياحهم وضحكاتهم تشدو في كل مكان، أما تميمة فأسرعت إلى غرفتهما والفرحة التي في قلبها تسع العالم وتفيض، طرقت الباب عليها واستأذنت بالدخول، فأذنت لها جوهرة، دخلت تميمة لتجد جوهرة شاخصة في السقف، فابتسمت لها وقالت:

- هل أقول مبارك؟

ابتسمت جوهرة بخجل:

- ما رأيك أنتِ؟
- أنا هنا لأطلب رأيك أنتِ يا عزيزتي لا العكس
- هذه أول مرة يطلب فيها أحدهم الزواج مني يا تميمة، ولا أعلم ما الذي علىّ فعله!...
- سأسلك عدة أسئلة وجاوبيني
- حسناً
- بماذا تشعرين ناحية ساهر؟

احمرت وجنيها وقالت بخفوت:

- أشعر بأن هناك فراشات تطير بداخلي يا تميمة كلما رأيته، هناك شيء بداخلي يجعلني أبحث عنه والتفت إليه كلما بعد عني... أنا سعيدة لأنه طلبني للزواج

ابتسمت تميمة:

- إذا لماذا تطلبين رأيي؟..
- لأنني من "قبيلة مانتي" يا تميمة، قبيلة الرذيلة..فهل سيوافق والديّ ساهر على فتاة كانت من "قبيلة مانتي"، حتى ولو وافقوا ألن يأتي اليوم الذي سيقال لي فيه يا فتاة مانتي

فنظرت لها تميمة وقالت:

- صحيح إنك من قبيلة مانتي لكنك الجوهرة التي كنت أبحث عنها، أنتِ الفتاة التي قالت للرذيلة لا، ووقفت بوجه قبيلتها ولاقت أشد أنواع التعذيب، طهرك وعفتك وحبك لله وتمسكك بهم ودعائك المستمر دون كلل أو ملل قلب الأبحر السبعة رأساً على عقب وأحضرني إليكِ من عُقر داري، أنتِ كنز لمن يحظى بكِ في حياته...أتمنى أن تكوني قد أدركتِ من تكونين يا جوهرة

اغرورقت عيناها واحتضنتها بشدة وهي تقول:

- شكراً لكِ يا تميمة، شكراً لأنكِ جعلتيني أشعر بأنكِ أختي، شكراً للطفك وقلبك الدافىء يا صديقتي

احتضنتها تميمة بالمثل وقالت:

- لن أبلغه موافقتك إلا بعد أن تستخيري الله؛ ليرتاح قلبك يا عزيزتي

فأومأت جوهرة بالموافقة وابتسمت بحب.

خرجت تميمة لتجد ساهر ينتظر بجانب الغرفة، فابتسمت بمكر تسأله:

- ماذا تفعل هنا؟
- انتظر خروجك...بماذا أخبرتكِ؟

- ما المقابل؟
- أختٌ مادية!...ماذا تريدين؟
- أريد "سندريلا"
- لا..سندريلا صديقتي منذ الإبتدائية
- سندريلا أم جوهرة
- فرك ساهر ذقنه، ثم قال:
- جوهرة...لكن أرجوكِ اهتمي بها جيداً واحضري لها الخس طازج ومبلل، هي تحبه مبلل
- وأخيييراً سأحظى بسندريلا سلحفتي الجميلة
- هيا أخبريني..
- قلقة بعض الشيء وخائفة من رأي والديك عنها..لكنها موافقة، وستستخير الله

نظر لها بعدم فهم وقال:

- أيعني هذا إنها موافقة ولن ترفض
- نعم!..ما بك يا أخي
- لا شيء...خائف قليلاً، أنا أحبها يا أختي

اشفقت تميمة على حاله وقالت تطمئنه:

- لا تقلق يا حبيبي، هي موافقة فافرح
- سأفرح عندما تقولين لي إنها موافقة

طبطبت على كتفه وقالت:

- ستسمعها منها بإذن الله

في هدوء الليل وتحت سماءٍ تملئها العديد من النجمات يغازلهن الناظر، تمدد حمزة وساهر بجانب بعضهما البعض على ظهر مقدمة السفينة.

تابع حمزة ساهر بعينيه مبتسماً، فانتبه إليه ساهر قائلاً:

- ما الأمر؟
- تذكرني بنفسي قليلاً..أتتذكر مثل تلك الجلسة في ذلك اليوم الذي أخبرتك فيه عن مشاعري اتجاه تميمة، ها أنت الآن تعيد ما كنت فيه

ابتسم ساهر، ثم قال:

- لقد اسُتجابت دعوتك وأصبحت أشعر بما كنت تشعر به، ولكني سعيد بذلك، فلقد وجدتها أخيرًا..

ابتسم حمزة:

- مبارك يا صديقي

***

طل الصباح على عينيّ ساهر وحمزة فأيقظهما، واستيقظت جوهرة وهي في غاية السعادة والانشراح، والإبتسامة ملىء شدقيها، أوقظت تميمة لتقول لها الأخيرة بابتسام:

- أرى ابتسامتك من الخد للخد، ونشيطة كنشاط الدجاجات

ضحكت جوهرة لداعبتها وقالت:

- أنا سعيدة وأشعر بالراحة بعد صلاة الإستخارة
- أيعني هذا إنكِ موافقة! بدون تراجع وبدون قلق
- نعم، موافقة
- جيد جداً، ساهر سيطير فرحاً بقرارك هذا وسنضطر لربطه بشىء يبقيه أرضاً حتى لا يطير بعيداً، والآن اتركيني أنام قليلاً...
- لا!، استيقظي لتخبري ساهر الآن، وأيضاً لنستعد للرحلة
- أرجوكِ اتركيني قليلاً
- لا!، لا للكسل...هيا أمامنا الكثير من الأشياء

استسلمت تميمة وجلست على السرير تحاول أن تفيق، مرة بفرط عينيها ومرة بلملمة شعرها ثم وضعه في وضعية مختلفة عن الأخرى، حتى نادتها جوهرة:

- تميمة!
- نعم!
- أنا خجلة من الخروج أمامهم والجلوس معهم خاصةً ساهر
- لا تقلقي من ناحية حمزة ووسيم سيكونان كما لم يخبرهما أحد...أما ساهر فهذا طبيعي، لقد كنت مثلك ولكنني تعديت الأمر لأنني أحب حمزة وأشتاق له كما أخجل منه أيضاً

فابتسمت جوهرة بحب وسكتت، ثم قالت لها تميمة:

- سأسبقكك للخارج
- حسناً

خرجت تميمة، وخرجت جوهرة من خلفها وهي تحمل قدح الماء الفارغ، فاهتزت السفينة بقوة لتقع جوهرة بعدها وينكسر الإبريق بيدها، سمع ساهر تحطم زجاج وأنين صوت جوهرة، فهب واقفاً من مجلسه وهرع إليها، عندما وجد يدها مجروحة وتنزف، فزع وكأنه لم يرى دماء من قبل، فدماء أحبابنا غالية جداً علينا وكأنها ألماس أو شيء لا يُقدر بثمن، ثم نزل على ركبتيه أمامها واحتضن كفها بين يديه قائلاً:

- لا تقلقي، الجرح ليس غائراً، وسيزول الألم سريعاً

ثم صاح منادياً على تميمة:

- تميمة!، تعالي وأحضري معكِ الإسعافات الأولية

حضرت تميمة بسرعة البرق ومعها الإسعافات الأولية، ثم ضمدت جرحها وأعطتها بعض المضادات الحيوية حتى يلتئم الجرح ولا يلتهب، ودعت لها بالسلامة وكذلك دعا لها وسيم وحمزة.

ثم انصرفوا و تركوهما وحدهما، فقال لها ساهر:

- جوهرة، أريدك أن تعلمي شيئاً قبل أن أسألك عن قرارك..أنتِ هي ما أتمنى وأريد، ووالديّ سيكونان فخوران باختياري وأنا متأكد من ذلك، وقريباً ستتعرفين عليهما وسترين كم هما لطيفان، ولا أقول لكِ ذلك لكي أضغط عليكِ إن لم تكوني موافقة ولكني لا أريد أن يكون القلق والماضي عائقاً في حياتك

توردت وجنتاها ولكنها ابتسمت براحة وحب، فها هي وجدته بعد عناء؛ ذلك الشخص الذي ستستند على منكبه في أمان وترتاح بعد عناء ومشقة رحلة طويلة، رجل يعرف كيف يكون رجلاً يحمي دون ترهيب، ويساعد بحب ويألف بتآلف ويتفانى بالمودة والرحمة، ثم فاجئته قائله:

- أنا موافقة

فغر ساهر عينيه بفرحة وهب واقفاً وقال:

- حقاً
- حقاً

فنظر إليها بحنان قائلاً:

- ليعيني الله على تعويضك وإسعادك يا جوهرة

فنظرت إليه بسعادة وابتسمت بأمان.

مر أسبوعان ولم يهتدوا إلى المدينة التي جاءت لتميمة في منامها، وكلما مرت الأيام ازداد يأسهم في العثور على تلك المدينة، حتى زارها في المساء منام آخر عن السيف وكأنه علامة تدل على وشوكهم من الاقتراب فارتفعت معنوياتهم وآمالهم...وجاء اليوم المنتظر في الأسبوع الثالث عندما رست السفينة على ميناء تلك المدينة التي طال البحث عنها، نزلوا جميعاً وهم يحملون الكثير من الأسماك كحجة لا تجعل أحد يشك بهم وأيضاً ليتحروا عن الحال بشكل جيد عندما يكونوا قريبون من الشعب وخاصة طبقة التجار والعاملين الكادحين، وقفوا مع الواقفين لأخذ الإذن بدخول سوق السفينة، فسمع حمزة رجلين يتحدثان بجواره، أحدهما يقول:

- أتمنى أن أبيع كل بضاعتي اليوم ولا يراني جامعي الإتاوة
- أتمنى ذلك أيضاً، ففي المرة الفائتة أخذوا نصف ما معي من ربح بضائعي

فتدخل حمزة قائلاً:

- اعذرا تدخلي، ولكن ما الذي يجبركما على ذلك، لماذا تأتيان هنا طالما لا تعجبكما قوانينهم الخشنة

رد الأول بحسرة:

- نحن من هذه المدينة ولكن علينا أن نأتي إلى هنا لنأخذ الإذن بالوقوف بالسوق كل يوم، ليسهل عدّنا وجمع الإتاوات منا

انعكص حاجبي حمزة، فقال له الرجل الثاني:

- يبدو إنك لست من هنا
- نعم
- ومن دلك على هذه المدينة الظالم حُكامها
- لقد جئت وحدي، قلت أجرب حظي هنا ولم أعلم بكل هذا...هل لي أن أسئلكم سؤال آخر
- تفضل
- لماذا لا تبيعان بضاعتكما في سوق مدينة أخرى بالجوار

ضحكا بحرقة ثم أجابه الثاني:

- نفس القوانين التي سُنت تفرض علينا ضرائب باهظة على ما تم بيعه خارج حدود المدينة، وكذلك من أراد ترك الحياة هنا عليه دفع الكثير من الأموال.

اختنق حمزة من شعور القهر الذي شعر به، ثم نظر إلى الحارس القادم نحوه بتكبر وغرور وهو يصيح به:

- ماذا ستبيع في السوق؟

قال حمزة بتهكم:

- الأسماك!

أعطى الحارس لحمزة لوحة بلاستيكية عليها رقم، ثم قال له:

- هذا رقمك هنا في السوق وستقف تحت اللوحة التي تحمل نفس الرقم بالداخل، وقبل أن تخرج سآخذه منك وسآخذ معه الإتاوة
- ستأخذ كم؟
- سآخذ النصف

صُدم حمزة وقال:

- يعني إن رزقت بعشر ورقات تأخذون مني خمسة

ببرود وعدم رحمة قال:

- نعم
- وكيف سآكل أنا ومن معي
- ليست مشكلتنا

احمر وجه حمزة من كتمه لغيظه وغضبه ثم أردف:

- وماذا يحدث إن لم تباع بضاعتي؟

- لن تخرج من المدينة حتى تسدد الإتاوة، هذا إن كنت من خارجها، وإن كنت من هنا ستضاف عليك دين

نفرت عروق حمزة وقال بقوة وغضب انتبه لها الجميع:

- لكن هذا استعباد

فالتف ثلاثة حراس حول حمزة وامسكوا بأسلحتهم تأهباً، فانتبهت تميمة له وللجلبة التي حدثت فتقدمت تخرق الصفوف لتصل إليه، تمسكت بذراعه بفزع وحاولت تهدأته، فانتبه حمزة لفزعها فطمأنها ببسمة مطبطباً على رأسها، أما ساهر فحاول إنهاء الأمر مع الحراس مرة باللين ومرة بالغضب، وفي مرات الغضب كانت جوهرة تضع يديها على قلبها خوفاً، لكن ساهر استطاع إنهاء الأمر بسرعة ودون مشاكل، ثم تقدم ناحية حمزة وقال:

- إهدأ قليلاً يا حمزة حتى نستطيع الدخول

زفر حمزة باستياء ونفاذ صبر قائلاً:

- كل هذا القهر وتقول لي اهدأ!... لقد هدأت حتى نستطيع الدخول وأيضاً خوفاً على الفتيات، لكن لن أستطيع التحكم في نفسي مدة طويلة
- لا يا حمزة أرجوك أثبت

حاول ساهر تهدئته هو وتميمة، وثنيه عن ما ينوي فعله بسبب غضبه المتأجج، حتى لاحظ ساهر خوف جوهرة وترقبها وشحوب لونها فتركهما واقترب منها يطمئنها:

- لا تخافي يا جوهرة، لقد حُلت المشكلة

نظرت له ثم نظرت حولها؛ في وجوه أصحاب المدينة وقالت بقلق:

- أولئك الحراس قاسيين والآخرين مكلومين ومقهورين، ولن يستمر الأمر كثيراً ستقوم ثورة وأنا أخاف عليك من الأذى

ابتسم ساهر لخوفها عليه فليس هناك اهتمام أجمل من اهتمام الحبيب بحبيبه، فقال:

- لا تقلقي، يا جوهرة فكل ما سيحدث سيكون خيراً بإذن الله

دخل الجميع إلى السوق ووضع كل بائع بضاعته في المكان المفروض عليه والذي يحمل نفس الرقم الذي تحمله لوحته، ومر الصباح عليهم بشكل هادئ وروتيني بين مشتري وآخر، فقال حمزة:

- كنت أود ألا أدفع إتاوتي وأُحدث بعض الشغب، ولكن وجود الفتيات يمنعني ولا أريد لهم الأذى

تذكرت تميمة وقتها جملة السيف فابتسمت وقالت في نفسها "ولما لا"، ثم نظرت إليهم تقول:

- لقد سمعت بعض الناس يتحاكون عن الحاكم وعن ظلمه لهم، وحفلاته الصاخبة الماجنة واعتراضهم عليها، أولئك الناس يمتلكون بذرة الثورة والاعتراض بصوت عالٍ وأخذ حقوقهم بأيديهم ولكنهم يحتاجون بعض المساعدة والتشجيع

ابتسم كلاً من ساهر وحمزة، ثم قال وسيم:

- كيف؟

ردت عليه جوهرة هذه المرة تقول:

- أولئك الناس يخافون من بطش الحراس وجور الحكام طوال حياتهم، عليهم فقط أن يتعلموا شجاعة طلب الحق، وقتها سينسون أمر الخوف

فابتسمت تميمة ثم نظرت لهم وقالت:

- أظن أنه يجب علينا نحن أن نكون الشجعان الذين نشجعهم

قال حمزة:

- ولكن نخاف عليكما يا تميمة
- هذه مهمتنا يا حمزة ولا مفر منها ولا تنازل عنها، جميعنا نعلم قبل بدء الرحلة أن هناك أخطار ستواجهنا فدعنا لا نفكر بها الآن، كل ما يجب علينا أن نفكر به كيف ندحض الظلم والشر، وكيف ننتصر والله حافظنا

ضيق حمزة عينيه مبتسماً ثم قال بتحدي وحماس:

- حسناً، أظن أن علينا أن نتصرف سريعاً

نظروا إلى بعضهم البعض والابتسامة والحماس يعتليان وجوههم.

مر الأسبوع الأول لهم في المدينة استطاعوا فيه تكوين صداقات بين أهل المدينة الذين كانوا يجتمعون مع بعضهم البعض بعد انتهاء دوام العمل ويتحدثون بما يكتمونه في قلوبهم من قهر وظلم، وهذا كان يؤدى إلى زيادة السخط أكثر على الحكم والحاكم، فصاروا ينتظرون تلك الوغزة التي ستُفضي بما تفيض به قلوبهم من أجيج.

في الصباح الباكر دخل البائعين إلى السوق كالعادة، ومرت الأمور بسلام حتى جاء الحارس لسحب طفل في الرابعة عشرة من عمره، سحبه من ملابسه مكيلاً له ضربات قوية، فانتفض الجميع من المعاملة القاسية والضرب المبرح الذي تعرض له الطفل، أرادوا مساعدته ولكن الخوف جعلهم يقدمون قدم ويأخرون الأخرى حتى تدخل حمزة وأمسك بالحارس ولكمه لكمة قوية وقع على إثرها، ثم صرخ بغضب:

- كيف لك أن تضرب فتى صغيراً هكذا، هل ماتت الرحمة في قلبك أنت وأمثالك؟!

فزع الحارس من حمزة وعندما رأى الناس خوف الحارس وفزعه من موقف حمزة، تجرأوا وتقدموا أمام الحراس الذين تجمعوا وقاموا بتلقينهم كل أنواع العذاب التي تحملوها طوال هذه السنوات، ولم يعد للحراس مقدرة على السيطرة على الشعب مرة أخرى باتحادهم القوي.

ووصل الأمر إلى الحاكم وأتباعه فثار جنونه وأمر بجمع كل الكتائب والنزول إلى الشوارع وقتل كل ثائر معترض على الحكم، وأمر بالإتيان بحمزة وجماعته على قيد الحياة حتى يقتلهم بيديه..ثم فجأة ظهرت هالات الظلام أمامه من العدم هي وخادمها كاعد، أجفله ظهورهما وأجفلته هيئتها المريبة، إلا إنه ثبت إلا من بعض حبات العرق التي فضحت خوفه، فانزوت إبتسامة خافتة مقلقة على ثغرها وقالت بفحيح:

- لا تقلق، لقد أتيت للمساعدة، فأنا أريد القضاء عليهم أيضاً
- وما المقابل؟
- ما أريده لن يسلبك شيء مما تملكه بل بالعكس سيزيده، وسأمدك بما يجعلك أقوى

ابتسم الحاكم بجشع وقال:

- وما هو؟!
- أن تترك نفسك لي، وتكون تابعي

***

أقبل رجل مهرولاً على حمزة وساهر وهو يقول لاهثًا:

- أمر الحاكم بإحضاركم إليه، ثم حدث شيئاً غريباً بالداخل لم أستطيع معرفته جعل الحاكم يخرج من قاعته غريباً، عروقه نافرة ووجه أصبح ظليماً وشيئاً ما بعينيه يجعله مخيف إلى حد الموت

نظروا إلى بعضهم البعض مرددين بصوت واحد:

- هالات الظلام!

ثم استطرد حمزة قائلاً:

- علينا أن نستعد...اذهب يا وسيم للسفينة وأحضر مساعدة جنود مملكة النور، وأنت وأنا يا ساهر علينا تجميع الرجال وحشد الصفوف من الأقوى للضعيف وبث بدواخلهم الشجاعة والتمرد أكثر على الظلم، وأنتِ يا تميمة خذي جوهرة واجمعي نساء المدينة وأطفالهم واختبئوا في مكان آمن

أسرع وسيم للسفينة، وجمع ساهر وحمزة الشعب ثم نادى فيهم حمزة قائلاً:

- الليلة ستكون النهاية، لقد أرسلت رسالة بالمساعدة، فكونوا أقوياء حتى تأتي، خذوا حقوقكم التي نُهبت منكم طوال هذه السنين وانتقموا لأنفسكم وذويكم، حاربوا لأجل العيش بكرامة وحرية

صاح الناس بحماس على إثر كلماته، ثم فجأة اخترق الصفوف كهلٌ كبير، لحيته بيضاء كبيرة، تعلو وجهه علامات الحكمة والخبرة ثم وقف أمام حمزة وقال:

- لقد انتظرت طويلاً ذلك الشخص الذي سيأتي ويقود الناس بشجاعة من ظلام الخوف والقهر إلى نور الحرية والعدل

ثم أخرج من بين ملابسه الواسعة سيف ملفوف بقماش مخملي، واقترب من حمزة وأعطاه إياه قائلاً:

- قم بمهمتك، لينصرك الله...وأعلم أنك من ستصنع الأسطورة بهذا السيف وليس العكس

أمسك حمزة بالسيف ونظر إليه ودعا الله أن ينتهي الأمر بالنصر وأن يكون على قدر المسئولية التي ولي إياها، ثم نظر للكهل الكبير باحترام ورفع السيف بيده وقال صائحاً:

- هيااا لتأخذوا حقوقكم

***

وقف حمزة في المقدمة وبجانبه ساهر متأهبان ومن خلفهم الثائرين من الرجال والشباب، ثم ظهرت آثار زحف كتائب مشاة الحاكم مخلفة ورائها الكثير من الغبار، وظهرت أجسامهم التي تضخمت بشكل مخيف وظهر أمامهم الحاكم بشكله الجديد المفزع، فانتفضت قلوب الثائرين من الخوف وتعالت الهمسات بينهم، فصاح فيهم حمزة بقوة:

- لقد مسخوا أنفسهم وتعاونوا مع الظلام وشياطين الجن لأنهم يهابونكم، لقد أخفتموهم وأخافهم اتحادكم، أخيفوهم مرة أخرى وتحدوا شياطينهم وضعوا في حسبانكم أن شمعة قادرة على هزم دهاليز من الظلام

فتعالت صيحات الحماس من الثائرين مرة أخرى، فاستطرد حمزة:

- كل مؤمن هنا يستطيع التغلب عليهم جميعاً، بإذن الله سنهزمهم اليوم، وسأهزم هالات الظلام كما فعلت من قبل

ثم اشتبك الفريقين في ملحمة شديدة الهياج وكأنها عاصفة هبت، كان الثائرين من الشعب يضربون الحراس الممسوخين بكل القهر الذي ذاقوه وبكل الألم الذي عانوه وبرغم ذلك كانت الإصابات منهم كثيرة لكنهم لم يستسلموا، وصارع حمزة الحراس بكل قوة ليصل للحاكم الذي كانت يديه توقع ضحياها وكأنهم مجموعة أوراق؛ ليصرعه ويطرحه أرضاً لإنهاء تلك المعركة بأسرع وقت دون الكثير من الضحايا.

تابعت تميمة وجميع النساء المعركة من فوق أسطح البنايات عندما سمعوا صخب وزمجرة أصوات الحراس المفزعة، فقرروا المساعدة بإلقاء الأحجار والمياه والزيت المغلي على أولئك الحراس الممسوخين، لكن الأمر لم يجدي كثيراً وبدأ الشعب الثائر في التعب وبدأت قوتهم تخفت شيئاً فشيئاً حتى أتت المساعدة من مملكة النور بوسائل دفاعهم الحديثة وستراتهم المختلفة التي أبهرتهم فتجدد الأمل في قلوبهم وتجددت العزيمة واشتد الصراع بحماس يملؤه طعم النصر.

نظر الحاكم الممسوخ لحمزة بغلٍ واضح، واقترب الاثنان من بعضهما البعض وخاضوا نزالاً من أشرس النزالات التي قد تُرى أو يُحكى عنها، توقف الجميع عن القتال إلا هما كانا كإعصارين، فارتعبت تميمة على حمزة ولم تعد قدميها تحتملان الوقوف وعندما أُصاب في صدره وقعت تصرخ باسمه، فنهض بسرعة رغم تعبه ليطمئنها وظل يحارب ويقاوم حتى هلك ولم يعد يستطع الاحتمال، فالقوة البدنية للحاكم كانت أضعاف قوة حمزة وعندما رأى ساهر صديقه يركع بركبتيه على الأرض بتهاوٍ، صاح:

- استعن بالله يا حمزة...ذلك الحاكم مسخ لهالات الظلام، والظلام يهزمه الإيمان..وتلك القوة التي في جسده ما هي إلا زيف وظلام وإيمانك من نور فاهزمه وبدد الظلام

استمع حمزة جيداً لكلمات ساهر وقبل أن ينزل سيف الحاكم على رقبته، صد ضربته بقوة وانفجرت قوة غريبة بداخله بترديده "الله أكبر"، "الله أكبر" ، فسدد إليه الكثير من الضربات وتقهقرت قوة الحاكم حتى قطع حمزة رأسه وهوت على الأرض، وخرج من جسده دخان أسود فصاح الثائرين باسم الله، وصرخت هالات الظلام بنشيج من ألم وضعف بعد أن ظهرت من العدم واختفت مرة أخرى.

زاد التهليل وتمتع الجميع بلذة الانتصار والحرية ونور العدل، واعتدلت ظهور الرجال المكلومين بعد أن رموا أحمال القهر والظلم عنها وانشرحت صدور الشباب وهللت النساء لعهد جديد دون ظلام...

ثم أسرع ساهر ليساعد حمزة، وأحضر أشهب السترة لتساعد في لئم جروحه بسرعة، وقام أهل المدينة باستضافة حمزة ومن معه بعد إصرارهم الكبير ليردوا ولو جزءاً صغيراً من معروفه معهم...أما تميمة فكانت تجلس بجانبه طوال النهار دون كلل أو ملل، تطعمه وتهتم به حتى تعافى وصَلب جسده ووقف على قدميه مرة أخرى.

وقبل أن يرحلوا قام حمزة بإعطاء السيف لمن يحميه من أهل المدينة حتى يأتي اليوم الذي يُرفع فيه من جديد بعد أن علم بوفاة الكهل الكبير الذي سلمه السيف.

ركب حمزة السفينة وسط هتافات أهل المدينة باسمه، ثم أبحرت وتميمة تتمسك بذراعه وتنظر إليه بين الفنية والأخرى، فابتسم حمزة لتصرفها قائلاً:

- لن أذهب لأي مكان يا عزيزتي، لا تخافي!
- اعذرني يا عزيزي، ففكرة فقدانك ترعبني، وابتعادك عني يقلقني، الحمد لله إنك بجانبي هنا الآن

نظر حمزة إلى عينيها الدامعتين، ولم يستطع منع نفسه من احتضانها بكل ما يملك من قوة، ثم قال لها:

- لا تخافي يا تميمتي

ما قبل النهاية

في مملكة النور احتفل الجميع بانتصارهم الثاني على هالات الظلام وشاركوا احتفالهم مع تميمة والجميع باتصالهم بهم عن طريق شاشة ضوئية تنبثق من فلاشة صغيرة، أعطتها لهم ميسال في نهاية الرحلة الثانية، فتحت تميمة الشاشة ليظهروا أمامها تعتلي وجوههم الإبتسامة وعلامات الاشتياق، فدمعت عيناها عندما رأت والدها وقد امتلأ رأسه بالشيب ووالدتها التي تتمسك بذراعه باكية، وجدها الذي أنير وجهه وتكحلت عينيه برؤية ابنه أخيراً، خالها ولطف ملامحه، جدتها التي تشبه والدتها كثيراً وبعض من روحها، أريج الصغيرة وخفة دمها، صديقة والدتها وزوجة خالها والحنان الذي يُبث من ملامحها، ميسال وأشهب والحب الذي بينهما، ولبيد الذي رغم جديته تشعر معه بالراحة والسكينة، تحادثوا بكل حب وارتوا من ملامح بعضهم البعض، وقصوا الحكايات وتناقشوا في أمور كثيرة...ثم قالت الملكة نوران بفرحة وخيلاء:

- الحمد لله الذي أعاننا على هزيمة هالات الظلام، لقد ضعفت قوتها وطاقتها بعد أن عُدم جزء منها عندما مسخت ذلك الحاكم وجنوده

ردد الجميع الحمد، ثم قالت مرة أخرى موجهه كلامها إلى لبيد وأشهب:

- والآن سنقوم بتنظيف كل قبائل الأبحر السبعة من أتباعها ونسيطر عليها ونعيد الأمن و الأمان مرة أخرى

فأجاب الاثنان في نفس الوقت:

- إن شاء الله يا ملكة النور.

ومرت الأيام بسلام وقلّت حالات اختطاف الأطفال وهدأت حركة الحيوانات البحرية والتلقبات التي كانت تحدث وعادت الحياة إلى الشكل الطبيعي مرة أخرى.

***

وقفت تميمة أمام الموقد بخفة، تدندن براحة بال وسعادة، فجاءت جوهرة وقفت بجانبها مبتسمة تسألها بشغف:

- تميمة!، هل أنتم بشر مثلنا، أم تختلفون عنا في تكوينكم الداخلي وتشبهون الأسماك

فنظرت لها تميمة بصدمة وعدم فهم، ثم قهقهت بشدة بعد استيعابها قائله:

- ماذا؟!!

فضحكت جوهرة هي الأخرى من كثرة ضحكات تميمة وقالت:

- كما سمعتي يا عزيزتي فالفضول سيقتلني، أريد أن أعرف إن كنتم تملكون خياشيم أما لا؟!!
- لا يا جوهرة!، نحن بشر عاديون، ونتنفس من أنوفنا
- إذاً كيف يعيش أهلك تحت الماء
- سأوضح لكِ، هناك مناطق في الأبحر السبعة على عمق لا يصل إليه أحد فيه أماكن مفرغة من الماء بفعل التيارات الهوائية المائية والضغط، وأكبر تلك المناطق هي مملكة النور حامية تلك المناطق...أعلم أن كل هذا عجيب ولكن عندما اكتشفت كل هذا شعرت بمدى ضآلتنا نحن البشر على غير ما نتوقع دائماً...لكنك أضحكتيني بما قولتيه يا جوهرة؛ جزاكِ الله خيراً

فضحكت جوهرة هي الأخرى وقالت:

- سعيدة إنني أضحكتك يا صديقتي، لكن هذا حقاً ما تخيلته مع نفسي

وظلتا تضحكان وتتسامران أثناء تحضير الطعام في أمسية لطيفة يظهر فيها القمر بدراً.

مرت أيام ولم تأتي لتميمة أي منامات حتى شعرت تميمة بالقلق، جلست على الطاولة تحتسي الشاي وهي تنظر للبحر بشرود وقلق، فجلس حمزة بجانبها يسئلها:

- بما أنتِ شاردة؟
- بهالات الظلام، أريد القضاء عليها بسرعة قبل أن تستجمع قوتها مرة أخرى
- لا تشغلي بالك يا حبيبتي، سيأتي المنام في الوقت المناسب بإذن الله

تنهدت براحة:

- إن شاء الله

فابتسم لراحتها وقرصها من وجنتها يداعبها.

المنام الأخير

مرت الأيام برتابة، لكن براحة تملأ قلوبهم، حتى جاء لتميمة منام جديد ترى فيه مدينة نائية يحكمها الجهل ويكثر فيها الدجالين، تنتشر بها الأوبئة والأمراض وظلام الجهل، تحكمهم تقاليد وعادات لا تصل بالدين صلة ولا بالعقل، ثم رأت هالات الظلام تقف خلف رجل يتصل بينهما دخان أسود وهو في حالة خنوع لها ثم يقوم بدوره ويقف خلف كل دجال وخلف كل عرافة، ثم ظهر صوت يقول "حين يحكم الجهل العقول؛ تُعمى القلوب والبصيرة، حاربوا ظلام الجهل وانشروا النور، حينها ستموت كل هالة للظلام وتنتهي...استيقظت تميمة من منامها مكلومة على هؤلاء الناس وفي نفس الوقت مذهولة من تفشي كل هذا الجهل وبهذا الشكل بينهم.

خرجت تميمة من غرفتها للمطبخ لتجد جوهرة تحضّر الفطور، فاقتربت منها وقالت بإرهاق:

- صباح الخير
- صباح النور، كيف كان نومك تبدين مرهقة؟!
- لقد جاءني المنام

اقتربت منها جوهرة بانتباه واهتمام تقول:

- كيف كان؟
- تلك المرة ستكون الرحلة صعبة وتنفيذها أصعب، فنحن سنواجه أكبر عدو للحياة.."الجهل"
- احكي لي عن ما رأيتيه
- حسناً، سأناديهم لأحكي

نادتهم تميمة؛ فاجتمعوا بعد دقائق على طاولة الطعام، فقالت:

- لقد جاءني منام الرحلة الثالثة، وهذه الرحلة ستكون صعبة التنفيذ

فقال وسيم:

- لماذا؟!..
- لأننا سنتعامل مع الجهل والأفكار العقيمة، مع عادات وتقاليد لا تمت للدين ولا للعلم بصلة...سنرى أمور قد تصدمنا وتلك الأمور لن نستطيع محوها بسهولة من مجتمع بأكمله، قولوا لي كيف سنقوم بتكذيب ما قام الجميع بالإيمان به طوال حياتهم وشابوا عليه، سيكون الأمر كتحطيم الأصنام في عصر الجاهلية

قالت جوهرة:

- حقاً سيكون الأمر صعب

فقال ساهر:

- بإذن سننتصر في تحطيم أصنام جهلهم، لا تيأسوا أو تستصعبوا الأمر؛ فالله معنا

رد حمزة موافقاً ساهر:

- معك حق يا ساهر، بإذن الله سنستطيع

قال وسيم:

- هل عرفتِ اسم المدينة؟
- نعم، اسمها شيمار

فقال حمزة:

- سنقوم بالإبحار لها من الآن وسنصل لها قريبا إن شاء الله
- إن شاء الله...أعتقد أن هذه الرحلة هي الأخيرة، فلقد قيل لي في منامي أن بالقضاء على هذا الجهل سيتم القضاء على كل هالات الظلام لتنتهي
- أتمنى ذلك

بعد يومين رست السفينة على ميناء مدينة شيمار، ودخلوا شوارعها ليتعرفوا عليها وعلى أهلها، دخلت تميمة مع حمزة أحد الشوارع لتتصدم من عدد المنجمين والعرافات الذين أرادوا قراءة الطالع لها، وفي كل مرة تُسأل كانت تقول" كذب المنجمون ولو صدقوا"، فلاقت الكثير من الاستهجان على رفضها، قائلين:

- هل جننتِ، من لا يريد معرفة ما الذي سيحدث له وعلى ماذا سيحصل؟، ألا ينتابك الفضول؟!
- لا، لأنه لو علم أحد منا الغيب لأختار ألا يعرفه، ففي عدم إدراكنا للغيب نعمة، أتدرون إننا لو علمنا الغيب قد نموت حسرة وكمد وذلك لأننا لم نتهيأ بالشكل الكافي للخبر الذي سيحزننا، فأرواحنا لها مناعة كمناعة الجسد قد تفشل في صد هجوم حزن قاتل إن لم تتعرض لعينات حزن تجعلنا أقوى فيما بعد، أو سنموت ونحن ننتظر تلك الأمور التي عرفناها دون أنا تأتي لأنه كان يلزمها العمل...قولوا لي كيف سنسعى بجدٍ لأمر نعلم إنه آتينا؛ فرغماً عنا سينتابنا الكسل وسيفتر سعينا

لم يستمع البعض لها، والبعض الآخر قالوا لها كل ما تقولينه ترهات، وآخرين لم يبدوا أي رأي... وتلك لم تكن الصدمة الأخيرة فقد كانت هناك صدمة أخرى فغرت لها فاها عندما شاهدت امرأة تضع طين على جرح ولدها وهي تتمتم ببعض الكلمات، فاقتربت منها تميمة وهي تقول بفزع:

- توقفي!، هكذا سيزداد الجرح سوءاً، عليكِ أن تطهري الجرح

فنظرت لها المرأة باستغراب وقالت:

- هذا الطين لامسه الشيخ "معتوق" وباركه ليُشفى ابني بسرعة

صُدمت تميمة مما قالته المرأة، وصاحت:

- ما هذا الهراء، ومن هذا المعتوق؟!!...استغفري الله يا سيدة فهذا شرك بالله، فالبركة لا تأتي إلا منه

- الشيخ معتوق ولي من أولياء الله الصالحين، والله أعطاه الكثير من البركة
- ما هذه البركة التي تجعلك تضعين الطين على جرح ابنك ليتعفن ويتقرح من البكتريا الضارة، لمجرد أن رجل ما تلقبونه شيخاً لامسه، أنتِ لم تفعلي شيئاً غير إنكِ جعلتِ من ذاك معتوق صنماً كأصنام الجاهلية " اللات والعزى" تتمسحين فيه لتأتي البركة وتضعين له القرابين حتى وإن كان إبنك

تلجلجت المرأة في الكلام ولم تستطع الرد، فاستطردت تميمة قائله:

- عندما ينتفخ الجرح ويلتهب سأكون موجودة لمساعدته بإذن الله، فأنا طبيبة، اسألي فقط عن سفينة حمزة في ميناء المدينة سأكون هناك، لكن حينها ستعترفين بأن ما تفعلينه ما كان إلا دجل وجهل

ثم تركتها تميمة صامتة ورجعت إلى السفينة بعد أن اكتفت بما رأت، واجتمعت بإخوانها قاصة عليهم ما رأت من أمور تفغر لها الفوه، ثم قالت:

- كيف نغير من هؤلاء؟

قال وسيم:

- بما إنك طبيبة يا تميمة سنستغل هذا ونجعل من السفينة عيادة يتردد الناس عليكِ فيها بعد أن تُعلني عن مهنتك حتى وإن كنتِ ستمرين على المنازل تعرضين عليهم مساعدة مرضاهم..حينها سيعرفون الفرق بين وصفاتهم الشعبية وأمور الدجل وبين العلم، وأظن أن هذه ستكون أول خطوة في تحقيق مبتغانا

رد ساهر بإعجاب:

- فكرة جيدة جداً، خاصةً إنها قد تنهي الأمور التي رأيتها اليوم
- ما الذي رأيته
- رأيت إمرأة جعلت ابنها يتبول في قنينة ثم دخلت بها لأحد الدجالين وخرجت مرة أخرى وسقتها لابنها الثاني

انصدم الجميع، وابتسمت تميمة بسخرية قائله:

- أتعلمون أن اليهود هم أول من أبتدعوا ذلك الأمر، كان اعتقادهم أن بول المسلم يُشفي من الصدمة والخضة، قرأت تلك المعلومة من قبل في مذكرات إحدى الكاتبات

قالت جوهرة بتقزز:

- يا إلهي...أنا أيضاً سمعت أمراً يشبه ذلك هنا؛ كانت إمرأة تقول لأخرى "أعطني الحجر الذي تبولتي عليه لأتبول عليه أنا الأخرى"، فسألتهما على ما يفعلان فقالا لي أن الأولى "مكبوسة" فيفعلان ما يفعلونه ويرمون الحجر في البحر حتى تستطيع أن تنجب

فغر الجميع فاهه يضربون كفاً بكف على تلك الخزعبلات وأولئك الناس، ثم قال حمزة بحماس:

- هناك فكرة طرأت ببالي الآن وأعتقد إنها جيدة كفاية لدحر تلك الأفكار، قد يُرى مفعولها بطيء إلا إنني أراها شديدة التأثير

فقال ساهر:

- ما هي؟
- أريد جذب الصغار بالحكايا والقصص، فكما تعلمون الأطفال يعشقون الحكايات، فنستغل الأمر ونحكي لهم عن الدين والأنبياء والصحابة والصاحبيات وأصحاب العلم فيتعلقوا بالدين والعلم وبالتالي سيقومون بالتأثير على عائلتهم في البيت

ابتسمت تميمة وقالت بحماس:

- إنها فكرة أكثر من رائعة يا حمزة

فنظر إليها بابتسامة واسعة وقال:

- جاءتني الفكرة منكِ وأنا أنظر إليكِ، حينما تذكرت أول مرة التقيتك فيها

اتسعت ابتسامة تميمة وتورد خديها بخجل:

- أما زلت تتذكر لقائنا الأول

فقال بإبتسامة هادئة وحب كبير:

- ولن أنساه أبداً

تنحنح كلاً من ساهر ووسيم بضحكات خافتة وهمسات متهافته، إلا أن حمزة زغر لهما بتوعد حتى سكتا.

***

في الصباح الباكر استيقظوا للبدء في مخطاطتهم في القضاء على الجهل، فأخذت تميمة أدواتها الطبية اللازمة لعرض خدماتها في علاج مرضى هذه المدينة وذهب معها حمزة ليحميها إن تعرض لها أحد، وذهب كلٍ من جوهرة وساهر ووسيم لجذب الأطفال وتعليمهم بأحب الطرق إليهم "بالقصص والحلوى".

كانت تميمة تطرق الأبواب دون ملل في عرض مساعدتها عليهم إلا أنها كانت ترجع خائبة في كل مرة، لكنها لم تستسلم فكانت تضمد جراح الأطفال في الشوارع وتفحصهم وتصف لهم الأدوية، كذلك الأمر مع جوهرة وساهر ووسيم لم يسمح أحد من الأهالي بترك أولادهم ليستمعوا إليهم إلا القليل.

ثم مر يومان وأتت إليها المرأة التي كانت تضع الطين على جرح ولدها، جاءتها به وقد انتفخ جرحة والتهب بشكل سيء، وملىء بالصديد، ومصاب بحمى شديدة، فاهتمت تميمة به حتى تماثل إلى الشفاء، فحمدت الله كثيراً أن والدته أتت به قبل أن تضطر لبتر اليد، وعندما رأت والدته تحسنه اعترفت بأن ما كانت تفعله خطأ...ثم مرت أيام وأيام حتى اكتمل الشهر، وأصبح الناس تتردد على تميمة واعتادوا على وجودها ومساعدتها الطبية،

واعتادوا على جوهرة وساهر ووسيم وصار يأتي إليهم الأطفال من كل بيت، كما أصبح الإقبال من عوائلهم على يفعلوه مع أولادهم أكبر وصار الأهل يطمحون لرؤية أولادهم كأبطال القصص والحكايا التي يقصونها، وصاروا يشعرون بخطأهم الفادح اتجاه الأضرحة عندما اسُتنارت قلوبهم بحب الدين مرة أخرى، وتفكروا بعقولهم فيما كانوا يفعلون كلما تقربوا من سيرة الأنبياء والصحابة وكلما قُرأت أمامهم آية من القرآن الكريم .. وذلك أغضب أصحاب المصلحة من الدجالين والعرافين الذين لم يعد الإقبال عليهم كما كان، وزادت ثورة غضبهم أكثر عندما علموا بتعاون أهل المدينة معهم في إنشاء مدرسة ومستشفى وإحضار معلمين وأطباء من المدن المجاورة نظيرمبلغ مالي يقدمونه لهم، لم تفلح كل محاولاتهم في عرقلة تقدمهم ولم تنفعهم أمور دجلهم، حتى الساحرين منهم؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لن يكن، فاجتمعوا مع كبيرهم أكثر شخص يهابونه، لا يعلمون عنه لا أصل ولا فصل وكأنه نبت شيطاني نبت من اللاشيء بينهم، فقال له أحدهم:

- ماذا نفعل يا سيدي زامل مع أولئك الغرباء فكل ما علمتنا إياه لم ينفع معهم؟

رفع زامل رأسه وبانت عينيه الحمراوتين التي تنفذ شراً، فتلعثم الرجل ورجفت أوصاله ثم قال بخنوع:

- آسف يا سيدي إن كنت أغضبتك

فقال زامل بجمود:

- هذه المرة سنجعل أهل المدينة يحاربونهم
- كيف
- سنجعل حياة أهل المدينة كالجحيم

بدأت سلسلة من الأحداث الغريبة والمخيفة تحدث في المدينة، فكانت تشتعل النيران في كل مكان ودون سبب وتزوم أصوات مخيفة ترعبهم وتظهر لهم الخيالات، فخافت الناس وانشقوا لصفان خاصةً بعد تحذير الدجالين لهم، صف تمسك بما أصبحوا عليه ولم يتأثر، وصف خاف وظن الظنون، لكن حمزة وساهر ووسيم أفسدوا عمل أولئك الظالمين عندما قاموا بتشغيل القرآن الكريم بمكبر الصوت فخمدت النيران واختفت الأصوات والخيالات، فزاد إيمان وثبات الذين ثبتوا ورجع أولئك الذين ظنوا الظنون بندم على ظنونهم، وخرج الناس ينظرون للأضرحة لأول مرة بغضب، الأضرحة التي لا يعلمون من هم أصحابها!، الأضرحة التي هددهم بها أولئك الدجالين والسحرة فخافوا، والآن يخجلون من أنفسهم فكيف يخافون من أناس ميتين لا حول لهم ولا قوة، أناس أرواحهم سبقت وتُسأل بين يدي الله، وحتى وإن كانوا على قيد الحياة ما هم إلا بشر! لا حول لهم ولا قوة إلا بالله... فقال أحدهم:

- علينا أن نهدم تلك الأضرحة وننقل الميتين إلى المقابر، يكفي إلى هذا الحد سكوتنا عليها

فجن جنون الدجالين، كيف للأضرحة أن تُهدم، كيف للكذبة أن تُكشف وينتهي كذبهم وتضليلهم إلى الأبد، فصاحوا في وجوه الناس ليمنعوهم لكن لم يفلحوا ولم تفلح أكاذبيهم عنها معهم مرة أخرى، فقاموا بالتهديد والوعيد:

- إن لم ترجعوا عن ما في رؤوسكم لن نرهبكم بل سنؤذي فلذات أكبادكم، حينها ستعلمون من نحن وما نحن قادرين عليه
- لقد تعلمنا كيف نحطاط من أذيتكم، كما إننا وأولادنا في حمى الله فكيف نخاف بعد الآن... لكن لماذا تصرون على ما تفعلون، ألا إلى هذا الحد حب الشهوات والطمع أعمى قلوبكم، تريدون عيش ملذات الدنيا بالحيلة والشر وكأن الدنيا ليست بفانية...

لم يستطيعوا الرد عليهم وكأن الهررة أكلت ألسنتهم، ولكن أعينهم كانت تتملىء بالشر والوعيد.

***

بعد انتهاءواليوم كانت تميمة سعيدة سعادة لا توصف، فمهمتها تتم على أكمل وجه عكس ما كانت تعتقد، لكنها كانت قلقة قليلاً من أولئك الدجالين خاصة زامل فما يبدو إنهم لن يتوقفوا بعد ما حدث هذا اليوم...

- جوهرة!، أين كتابي؟ هل رأيتيه في أي مكان؟
- ها هو يا تميمة أمام عينيك!..

نظرت إليه تميمة ببلاهة ثم ابتسمت وقالت:

- حقاً عقلي ليس برأسي
- فيما تفكرين؟
- أفكر في ما قد يفعله أولئك الدجالين وذلك المدعو زامل
- أنا أيضاً قلقة بعض الشيء لكنني فوضت أمري لله وعلى يقين أننا سنقضي على هالات الظلام
- أتمنى يا جوهرة، فأنا بصراحة متلهفة للقاء أمي وأبي...متلهفة للقاءهم جميعاً

ابتسمت جوهرة بحماس وقالت:

- أنا أيضاً متشوقة لرؤية مملكة النور كثيراً فكلما أتذكر كلماتك ووصفك لها يجن فضولي

ظلت الفتاتان تتحدثان وتحلمان بالغد بمرح وفرحة حتى سمعتا صراخ في كل مكان، فخرجتا لرؤية ما الأمر فتفاجئا بدفعة قوية أدخلتهما للداخل، وقفت تميمة بسرعة وحاولت فتح الباب ولكنها لم تستطع فتحه، ففزعتا وصرختا بعزم ما يملكان من قوة ولكن لم يسمعهما أحد من كثرة الصراخ والصخب الذي بالخارج، وظلتا تصرخان أكثر بعد أن شممتا رائحة الدخان التي امتلئت به الغرفة سريعاً.

أما في الخارج فكانت وحوش هالات الظلام والدجالين يعيثون في المدينة وفي أهلها فساداً وشراً، واشتبك أهلها معهم في نزالٍ حامٍ فأصبحت المدينة ساحة لحربٍ كبيرة أشعلت فتيلها هالات الظلام...

صاح حمزة وهو يمسك وحشاً يدك عنقه:

- وسيم أحضر المساعدة حالاً ، وعلى أحدٍ منا الذهاب للسفينة لحماية تميمة وجو...

ولم يكد يكمل جملته حتى صاح رجلٌ يقول:

- السفينة تحترق، سفينة حمزة تحترق

فوقع قلب ثلاثتهم وركضوا بسرعة يخترقون جموع الناس حتى وصلوا وسمعوا صيحات تميمة وجوهرة فكادت أن تُجن عقولهم، صرخ حمزة بكل قوته وبكل قهر، نظر حوله يبحث عن شيء يتسلق به السفينة حتى وجد حبلاً بخطاف فرماه وتسلق السفينة ومن خلفه ساهر، أما وسيم وبعض الناس كانوا يحاولون إطفاء الحريق.

هبط حمزة وساهر على سطح السفينة وركضا ناحية الباب المغلق وكسراه بعد عدة دفعات، فوجدا الفتاتان مغشياً عليهما، حملاهما ونزلا بهما وعلى وجوههم علامات الرعب، قاما بما يلزم من الإسعافات الأولية وترقبوا إفاقتهما. فاقت تميمة أولاً واستردت أنفاسها وكأنها تسحبها من بئر سحيق فضمها حمزة إلى صدره بقوة، ولكن لم تفق جوهرة، فأطلق ساهر دمعة من عينيه بخوف وارتبكت أنفاسه وشعر بالبرودة تحتل أطرافه ثم ذرف الدمعة الثانية وتشنجت معها عضلاته وأصبح يتحرك بهيسترية حتى فتحت عينيها على آخرهما تتنفس الصعداء، فرجع الدم إلى عروقه وانزاح الخوف والقلق من قلبه ولولا الحرام لاحتنضها ليرتاح قلبه أكثر...التفتوا إلى وسيم فلم يجدوه فانتفضت قلوبهم حتى سمعوا صوته وهو يصيح قائلاً:

- لقد أتت المساعدة، لقد أتت المساعدة

صاح الناس بفرحة في الميدان الذي امتلىء بالجرحى والقتلى عندما أتت المساعدة في الوقت المناسب، ووقف حمزة وساهر لينهيا ما بدأا به بعد أن اطمئنا على تميمة وجوهرة في غواصة من غواصات مملكة النور مع ميسال.

جلست ميسال بين تميمة وجوهرة تحتضنهم قائلة:

- سلامتكما يا حبيبتاي، الحمد لله إنكما بخير
- شكراً يا ميسال

ثم نظرت تميمة إليها وقالت:

- أراكِ حزينة، ما الأمر؟
- أشهب يرفض خروجي للقتال، يقول إنه لن يكون بكامل تركيزه في وجودي بساحة القتال.
- لا تحزني يا ميسال فهو يخاف عليكِ
- أعلم يا تميمة ولكن هذا يغضبني فهذا اجبي أيضاً ومهمة من مهامي هي حماية مملكتنا كما هي مهمته أيضاً

فابتسمت تميمة وقالت:

- الرجال الحقيقيون يحمون نسائهم حتى وإن كانوا أقوياء قوة تحطم الصخر، سيقلقون ويتوترون إن أصابهن مكروه أو ترصد لهن.

ارتخت ملامح ميسال وابتسمت من قلبها...فاعتدلت جوهرة بحزم بعد أن مر بعض من الوقت وقالت بتحدي:

- هل سنجلس هكذا دون أن نقدم شيئاً

نظرت إليها ميسال وقالت بحماس:

- هل أنتِ بحالة جيدة للمشاركة؟
- نعم!، فلقد طفح كيلي من تلك الشنعاء هالات الظلام وأعوانها، وسأخذ حقي من أولئك الذين أحرقوا السفينة ونحن فيها

نظرت لهما تميمة قليلاً بهدوء يعاكس حماسهم، ثم فاجئتهم قائله بحماس:

- لنقض على هؤلاء الحمقى، فأنا لن أرتاح أبداً وزوجي وإخوتي بالخارج ولا أعلم عنهم شيئاً، طفح الكيل لن أتحمل أكثر من ذلك

ووقفن وهن يصحن:

- هيااا

***

أصبحت الساحة بركة من الدماء، إلا إنهم لم يستسلموا رغم كثرة وفد الوحوش عليهم وكأنهم أعداد لا تنتهي.

وقع حمزة إثر ضربة على رأسه أفقدته توازنه وقبل أن تنزل مطرقة الوحش عليه فوجئ حمزة بسهم يخترق رأس الوحش، فنظر للأعلى وتفاجأ بتميمة تركب عربة طائرة، فعكص ما بين حاجبيه بدهشة إلا أنه ابتسم عندما شاورت له، ظلت الفتيات يحمين ظهورهم من فوق على قدر الإمكان حتى ظهرت هالات الظلام وهي شاحبة إلا إنه لم يقلل مقدار الظلام والبشاعة التي بها، فصاحت تميمة قائلة:

- الآن!، صوبوا عليها

فأصابتها الفتيات بأسهم احتلت أماكن مختلفة في جسدها، لكنها لم تقع بل رفعت رأسها إليهن وقبل أن تُقدِم على أي فعل؛ قطع حمزة رأسها فتبخرت كل الوحوش من حولهم وتحولت إلى رماد كما تحول جسدها هو الآخر بعدما احترق.

ثم ظهر شعاع الشمس في الأفق ليعلن عن صباح جديد نظيف من كل دنس الظلمات، إلا أن المدينة أصبحت خراب في خراب وأخاف الحال أهل المدينة، خافوا الضيق والجوع لكن سريعاً ما اطمأنوا بمداد أيادي أهل النور بالمساعدة عندما ساعد جيش النور الناس في تنظيف الساحة

والتخلص من آثار الخراب وعندما أتت الكثير من المعونات التي أمر أشهب بالإتيان بها.

واستعد بعدها جيش مملكة النور للرحيل، واستعد حمزة بعد أن نظر نظرة أخيرة على سفينته المحترقة يودعها، ثم ركب الغواصة المتجهه إلى مملكة النور وركب البقية، فقالت جوهرة لتميمة:

- أخيراً نجحنا وسنذهب إلى مملكة النور

ابتسمت تميمة وقالت:

- أخيراً، وسأرى عائلتي...ولكني أخاف قليلاً يا جوهرة
- مم؟!
- كاعد!، لم انتهي منه بعد؛ فذلك الرجل خطر سيحدق فينا فيما بعد
- لا تقلقي واتركِ الأمر لله
- ونعم بالله

***

- أما زلت غاضب مني يا أشهب: قالتها ميسال بحزن
- نعم كثيراً يا ميسال

عكصت ميسال ما بين حاجبيها وطافت عينيها ببريق الدموع قائله:

- لم أقصد معارضتك يا أشهب ولكنني خفت كثيراً عليك وعليهم عندما تأخرتوا، وأنا لا أريد خسارتك كما أنت لا تريد خسارتي

انفرجت أساريره وحاجباه المعقودين وكذلك يديه، ثم قال بابتسامة رقيقة:

- الآن أنا غاضب قليلاً

ابتسمت ميسال بفرحة وارتاح قلبها، فاستطرد:

- تعلمين يا ميسال أنني أخاف كثيراً عليكِ؛ لأنني أعلم إلى أي مدى قد تضحين لأجل مصلحة الجميع، وهذا يرعبني...أرجوكِ كوني بخير لأجلي

فابتسمت ميسال بخجل وقالت:

- حسنًا

لقاء الأحبة

اخترقت الغواصات تيار مائي قوي يعاكس اتجاه المياه فاهتزت على إثره وكأنها تخترق غلاف لكوكب آخر، ثم ظهر ضوء ذهبي كضوء الشمس من داخل فقاعة كبيرة تشبه الكوكب ويحيطها ساتر مائي يتساقط كقطرات تشبه الألماس، ثم دخلت الغواصات إلى داخل الفقاعة لتتحول من حالة الغوص إلى حالة الطيران، تفاجأوا بالأُجم العالية والبيوت التي تشبه القصور وبالناس التي كانوا يشبهوا قدماء الحكماء بملابسهم الفضفاضة وهالات الوقار التي تحتل وجوههم، وبالطيور المختلفة والحدائق التي تمتلىء بالزهور التي لم تراها أعينهم من قبل، فكانت مملكة النور حقاً ككوكب آخر على كوكب الأرض.

وقفت الغواصة الطائرة أمام قصر مملكة النور الباهر الجمال، كان قصر أبيض كبير تملؤه الأعمدة الكبيرة الضخمة وتعتليه ثلاث قباب ذهبية، خرجوا مبهورين مما رأوه، وخرج كلاً من وسيم وتميمة يبحثون عن والديهم باشتياق حتى وقعت أعينهما على باب القصر يُفتح وتظهر من وراءه عائلتهما الكبيرة.

عندما التقت أعينهما بوالديهما ذُرفت دموع الطرفين والتقت المشاعر في التحام الأجساد بأحضان كبيرة عميقة تذوب فيها سنوات الفراق...والتقت تميمة أخيراً بجدتها وبعائلة والدتها التي أحست بين جوانبهم إنها بخير، وتعرفت العائلة على حمزة الذين أعجبوا بشخصيته الفاتنة وكذلك ساهر وجوهرة، خاصةً جوهرة التي سخر لها الله الجميع لإنقاذها، كما أحبها والديّ ساهر خاصة السيدة رقية التي أتخذتها ابنة وصديقة من حديث صغير دار بينهما.

أحبت تميمة مملكة النور وافتخرت بأنها جزء من ذلك الكيان العريق، ولكنها اشتاقت للإسكندرية ولبيتها هناك، حن كلها لمدينتها وشوارعها وأطفالها، فكان قرارها أنها سترجع إلى هناك وستترك العرش لميسال؛ فهي ترى أنها الأولى بالمملكة وأدرى بشؤونها.

اجتمعت العائلة في أمسية دافئة تشاوروا فيها في أمور عدة ومنها زواج الفتيات والترتيب له، فنظرت تميمة إلى جدتها ثم لهم وقالت:

- لقد اتخذت قرار ويجب عليّ إخباركم به

فقال لها خالها عاكصاً حاجبيه:

- ما هو؟
- سأرجع بعد زواجي لمدينتي وأترك العرش لميسال فهي الأدرى في إدارة شؤونها عني

تفاجئت ميسال وتفاجىء الجميع ما عدا جدها وجدتها اللذان كانا يعلمان بأنها لن توافق، فنظرت الملكة نوران إلي تميمة وقالت:

- أنتما الاثنان تكملان بعضكما البعض في الحكم ولن يفرق الأمر طالما ستتشاوران فيما يصب لمصلحة المملكة

فابتسمت كلاً من تميمة وميسال وهزا رأسيهما موافقتين...وقفت تميمة بالشرفة التي تطل على حديقة القصر وهي تنظر إليها بانبهار، فوقفت ميسال بجانبها قائلة:

- انتظري حتى أُريكي حديقة المملكة الكبيرة، ستنبهرين أكثر عندما تريها وتري أسراب الحيتان والدلافين والأسماك النادرة والصحالب والأعشاب المرجانية من خلف الحاجز وكأنها لوحة متحركة
- أود رؤيتها
- حسناً استعدي لآخذك إلى هناك

ثم استطردت سريعاً وقالت:

- تميمة!، هل أنتِ حقاً متأكدة من قرارك بترك عرش مملكة النور
- نعم يا ميسال متأكدة فهذه ليست الحياة التي أريدها

تنحنح حمزة من خلفهم، فالتفتا إليه ثم تركتهما ميسال سويا، ابتسمت له وابتسم لها وقبل أن يقول أي شيء ردت على تساؤلاته:

- لأني أريد حياة بسيطة يا حمزة، اهتم فيها بك وببيتي وبالأطفال الذين أفحصهم وأسرد لهم القصص على شاطئ بحر إسكندرية

فابتسم لها بحب وشغف قائلاً:

- ما أجملها بساطة...ولكن كيف تقرأينيني بتلك البساطة؟

فأشارت تميمة لقلبها ولرأسها وقالت:

- لأنك هنا وهنا

اقترب منها بحب وقبّل يديها متمنياً:

- أتمنى أن يمر هذا الأسبوع بسرعة

***

مرت الأيام في مملكة النور بتناغم وفرح، كان فيها يستعد جميع من بالمملكة لحفل زفاف بنات النور ويحرص فيها أهل المملكة لإقامة حفل كبير مبهج، فزينوا الطرقات بالزينة وهُذبت الأشجار وزُينت بأفضل الزينات اللامعة، عُطرت وبُخرت الطرق طوال السبعة أيام، وفي اليوم المنتظر زينوا الطاولات الذهبية بملاءات حريرية بيضاء وبورود وزهور بيضاء وسيمونية رقيقة، وزينوا الأبواب الثلاثة التي ستخرج منها العرائس على حدا...

وقف حمزة أخيرًا بحلته البيضاء المطرزة بالخيوط الذهبية على طراز أهالي مملكة النور أمام الباب الأول المزين بالورد الجوري بعدما ارتفع صوت البوق الأول؛ لتظهر تميمة من خلفه بفستان عرسها الأبيض الفضفاض الذي تزينه الأحجار الذهبية البراقه، وبعينينها الزرقاوتين التي خطفت أنفاسه؛ فنظر لها بحب وإنبهار مقترباً منها ماداً يده بحنو لتلامس يديها الرقيقة لتتأبط ذراعه ويتقدم بها...ثم رُفع صوت البوق الثاني ليتقدم أشهب بحلته السوداء المطرزة بالخيوط الفضية أمام الباب الثاني المزين بزهور الأقحوان البيضاء، لتظهر من خلفه ميسال بفستانها الأبيض المزين بحبات اللؤلؤ العاجية والألماسات الفضية؛ فيبتسم لها بإنبهار وإمتنان على الفوز بوجودها كزوجة يتمناها ويشتاق إليها...ثم رُفع صوت البوق الثالث ليتقدم ساهر بحلته الرمادية المطرزة بالخيوط البرونزية أمام الباب الثالث المزين بورد الداليدا الحمراء؛ لتظهر من خلفه جوهرة بفستانها الأبيض المزين بأحجار الياقوت الأحمر؛ فتلمع عينيه بحبها وتتلاحق أنفاسه باشتياقٍ لها.

وعُقد قران كلٍ من ساهر وجوهرة، وأشهب وميسال لتتعالى من بعدها أصوات الدفوف والمباركات وأناشيد الأفراح في جو ملىء بالحب والسعادة ودفء الأمان.

***

في مكان مظلم ومجهول ظهر صوت كالفحيح يتمتم بتمتمات غريبة آخرها اسم كاعد؛ ليبتسم رجل عينيه غائرتين ووجه منفر بانتصار

النـهاية